٢٨

الروائع

الخنساء

منتخبات شعرية

المطبعة الكاثوليكية - بيروت



منتخبات شعرية

بقلم

فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

المطبعة الكاثوليكية . بيروت

١٩٣٠

الخَنساء

٥٧٥ ؟ _ ٦٦٤ ؟

اشهر شواعر العرب على الاطلاق، ومن اشهر الرثائيين رجالاً كانوا او نساء. قضت حياةً طويلة توفّرت فيها دواعي الحزن والاسى، فاثرت في قلبها الرقيق حتى فاض شعورها الخالص رثاء عاطفيًا صرفًا رفعها بحقٍ الى اعلى درجة من الطبعية والاخلاص. فكيف مرّت هذه الاحداث المؤثرة، وما هي قيمة هذا الشعر العاطفي ؟

عصرها

ليست الخنساء اوفر حظًا من سائر الشعراء الجاهليين في ما خصّ المعلومات عن حياتهم واعمالهم. انما يستوون جميعهم بالاجحاف اللاحق بهم من اهمال الرواة والمؤرخين ، اذ انصرف اكثرهم الى جمع النوادر والاحاديث عن الشعر والشعراء دون اهتمام بالتمحيص او اكتراث للمقابلة ، حتى اصبحنا والتاريخ الجاهلي خليط من الاساطير والحقائق التي كثيرًا ما يناقض بعضها البعض الآخر ، فنقف حائرين لا ندري باي قول ناخذ ، ولا الى اي رأي نستند.

هكذا كان موقفنا تجاه من درسناهم من فحول الجاهلية ، وهكذا

كان تجاه الخنساء . فاخذنا نقارن بين المعلومات المختلفة والروايات المتباينة المحفوظة في كتب المحاضرات كالعقد الفريد [1] ، والاغاني [2] ، والشعر والشعراء [3] ؛ وديوان شاعرتنا نفسها في نسخه المتعـددة [4] . حتى ادّى بنا البحث الى الاخذ برأي المستشرق غبريالي [5] ، الذي يجعل مولد الخنساء نحو السنة ٥٧٥ ، كفرضيّة ممكنة توافق ما سنسرده وندرسه من حوادث حياتها وحياة ابيها واخويها واولادها . اما وفاتها فاكثر المؤرخين العصريين على انها كانت سنة ٦٤٦ ، اي سنة ٢٦ للهجرة ، وهو لا يستند الى شيء صريح ، فضلاً عن ان من رواة الاقدمـين من يقول انها كانت « حليقة الرأس تدبُّ من الكبر على العصا » [6] لما استوضحتها عائشة عن سبب لبسها الصدار . فاذا قابلنا بـين القولين رأينا انها توفيت في الحادية والسبعين ، وهو عمر تدركه النساء على الغالب دون ان « يدببن من الكبر على العصا » . ثم ان في شرح رسالـة ابن زيدون [7] عن علقمة بن جرير حادثة اطرف بها معاوية ، ذكر فيها انه رأى الخنساء في عرس ابنتها عمرة « جالسة ملتفّة بكساء احمر ، وقـد هرمت » . وهو مما يؤيد ما

---

١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣ : ٧٤ .

٢) الاغاني ١٣ : ١٣٦ .

٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ١٩٧ .

٤) تجد وصف هذه النسخ في مقدمة « شرح ديوان الخنساء » للاب شيخو .

٥) G. Gabrieli, *I tempi, la vita e il canzoniere della poetessa araba al-Ḫansā'*, Florence 1899, p. 65.

٦) الديوان (نسخة مصر) : في شيخو ، ص : ٣٥ .

٧) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، ص : ٢٣٧ .

ورد في بعض الكتب من انها توفيت بالبادية في زمن معاوية [1] ، وهو مـا انتبه له المستشرق غبريالي المذكور فعيّن لوفاتها السنة ٦٦٤ او ٦٦٥ ، وهو ما نراه اقرب الى الصواب.

حياتها

قبل الاسلام

لقبها — اسمها — آلها.

« الخنساء » لقبها لا اسمها ، وهو مؤنث الاخنس ، من الخَنَس : تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الارنبة ، وهي صفة مستحبة ، اكثر ما تكون في الظباء وفي البقر الوحشية . وكان يقال لها ايضاً « خُناس » . اما اسمها فتماضر بنت عمرو ، بن الحرث ، بن الشريد [2] ، ابن رياح . . . ابن خُفاف ، بن امرئ القيس . . . ابن سُليم . . . ابن قيس ابن عيلان بن مُضر . ومعنى تُماضر البيضاء او البياض . وهي من قبيلة نبغ فيها غير واحد بالشعر . وكان آلها ، آل الشريد ، اشهر السُلميين في الجاهلية ، وظلوا كذلك في الاسلام مدة طويلة . وقد هاجروا الى افريقية ، وحافظوا فيها على نسلهم وصفاتهم الى زمن ابن خلدون ، فذكر ان لهم شوكة وصولة [3] .

---

١) البستاني : دائرة المعارف ٧ : ٤٨٧ — وشيخو ، ص : ٢٣ وهو يجعل وفاتها حول السنة ٦٧٠ .

٢) ويذكر دي برسفال جـدًّا للخنساء قبل الشريد يسمّيه عمرًا راجع : de Perceval, *Essai sur l'Histoire des Arabes, tableau A.* عـلى ان الراجـح ما اوردناه .

٣) ابن خلدون : كتاب العبر ، طبعة مصر ، ٢ : ٣٠٨ .

وكان ابوها ذا نفوذ واسع في قومه وثروة طائلة ، على ما يظهر من بعض المرويّات ، ومنها انه كان يمسك بيد ابنيه صخر ومعاوية في الوسم فيقول : « انا ابو خيرَي مُضر » . فلا ينكر عليه ذلك احد [1].

والظاهر ان الخنساء كانت اصغر من اخويها . وقد عيّن غبريالي لمولد الاول منهما ، اي صخر ، سنة ٥٦٥ او ما قاربها ، ولمولد الثاني سنة ٥٧٠ [2]. كل ذلك على سبيل التقدير والاستنتاج . لان جلّ ما نعرفه عنهما ، في زمن شبابهما ، حادثة وردت في كتاب الازمنة للمرزوقي [3] ، واشار اليها المستشرق كرنكو Krenkow في معلَمة الاسلام [4] ومفادها ان ابا الخنساء قدم سوق عُكاظ مع ولديه ، صخر ومعاوية ، في السنة ٣٥ للفيل ، فباعوا لهم ارضاً في يثرب الى معمر بن الحرث ، جدّ الشاعر جميل . ويؤكد الاصمعي ان عقد البيع كان لا يزال محفوظاً عند ابناء معمر المذكور حتى زمن الخليفة هرون الرشيد . فاذا صحّ هذا القول ، وكرنكو يشكّ في صحته ، يكون اخوا الخنساء في زمن شبابهما سنة ٣٥ للفيل ، اي بين السنتين ٥٧٧ و ٦٠٥ ، لان عام الفيل يتقدّم السنة ٥٧٠ ، على رأي نقّاد العصر [5] ، ويتأخر عن السنة ٥٤٢ . ومهما يكن من صحة قول الاصمعي ، فان هذه الحادثة لا تنافي فرضية المستشرق غبريالي عن مولد الاخوين .

---

١) ابن خلدون ٢ : ٣٠٨ . والحصري : زهر الآداب ٣ : ٣٤٤ . — في طبعة شيخو ادب انما ص : 7 .

٢) Gabrieli, *op. cit.* p. 65.

٣) طبعة حيدر اباد ٢ : ١٦٨-١٦٩ .

٤) اطلب F. Krenkow, *Al-Khansâ' - Encyclop. de l'Islam, II*, 954.

٥) اطلب في ذلك F. Buhl, *Abraha - Encycl. de l'Islam, I*, 74

الخنساء ودريد بن الصمة

كانت الخنساء في اول فوّتها ، لما رآها دريد بن الصمة ، وهو شيخ كبير [1] ، تهنأ بعيرًا لها ، اي تطليه بالقطران ، وقد تبذّلت ؛ فاعجبته . فغدا على ابيها فخطبها اليه . فقال ابوها : « مرحباً بك ، ابا قرة ، انك للكريم لا يُطعن في حسبه ، والسيّد لا يردّ عن حاجته ، والفحل لا يُقرع انفه . ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها . وانا ذاكرك لها ، وهي فاعلة » . ثم دخل اليها فقال : « يا خنساء ، اتاك فارس هوازن ، وسيّد بني جُشم ، دريد بن الصمّة ، يخطبك ، وهو ممن تعلمين . » (ودريد يسمع قولها) . فقالت : « يا ابتِ ، اتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح ، وناكحة شيخ بني جُشم ، هامة اليوم او غدٍ . » [2] فخرج اليه ابوها فقال : « يا ابا قرّة قد امتنعت . ولعلها ان تجيب فيما بعد . » فقال : « قد سمعت قولكما . » وانصرف .

تدلنا هذه الحادثة على ما كان للخنساء من حرية اختيار مع وجود ابيها ، واخويها وكلاهما اكبر منها سنا ، هذا على صغر سنّها اذ ذاك . لانها لم تكن بلغت العشرين في ظنّنا ، والدليل ان ابنها عمرو بن عبد العزّى ، المعروف بابي شجرة ، حارب مع خاله صخر ، في يوم الحوزة الثاني نحو السنة ٦١٣ [3] ، فيجب ان يكون عمره اذ ذاك حول العشرين ،

---

١) الاغاني ٩ : ١١ ؛ و١٣ : ١٣٦

٢) هامة اليوم او غدٍ : تُشير بذلك الى ما كان يعتقده الجاهليون عن الهامة او البومة التي تخرج من رأس الميت . ومرادها انه شيخ فانٍ سيموت اليوم او غدًا .

٣) العقد الفريد ٣ : ٧٥ — ومقدمة الديوان للاب شيخو ، ص : 16 .

وميلاده حول السنة ٥٩٣ ؛ اذاً وجب ان نجعل زفاف الخنساء الى عبد العزّى ، ابي عمرو المذكور ، نحو السنة ٥٩٢ ؛ وعمرها لا يزيد عن ١٧ سنة .

وفي حديث دريد والخنساء رواية ثانية وردت في النسخة المصرية للديوان [١] ، مفادها ان فارس بني جُشم خطبها الى اخيها معاوية . وهي غير معقولة ، ان اخذناها على حرفيتها، لان ابا الخنساء كان لا يزال حياً اذ ذاك . على اننا ، اذا انتبهنا لما كان بين دريد ومعاوية من الصداقة المتينة حتى ان الواحد كان يدعو الآخر اخاه ، ادركنا ان من الطبيعي ان يتكل دريد على معاوية في اقناع اخته ، وان يُسرع هذا الى الخنساء فيقول : « يا أُخيّة ، قد عرفتِ الذي بيني وبين دريد بن الصمة ، وانه خطبك اليّ . فأُحب ان تشفعيني وتتزوَّجيه . » اما الخنساء فاجابت : « ما وجدتَ شيئاً ترضي صديقك غيري ؟ » ثم دعت بدريد فامتحنته وصرفته . ثم بلغته ردها اياه . فاراد معاوية ان يُكرهها . فقالت من ابيات :

أتُكرهني ، هُبلت ، على دريدٍ وقد اصفحتُ سيّدَ آل بدرِ ؟ [٢]

اصفحت اي رددت ، وهي تعلمنا بهذا البيت ، انها ردت خطيباً آخر، من بني بدر، كان قد خطبها قبل دريد .

اما دريد فغضب من ذلك وهجاها بابيات ذكرها الاغاني [٣] ، فقيل للخنساء : « الا تُجيبينه ؟ » فقالت : « لا اجمع عليه ان اردّه وان اهجوه . » على ان هذا الرفض لم يؤثر في صداقة معاوية ودريد ، ولم يمنع

١) مذكورة في طبعة الاب شيخو ، ص : 9–8 .

٢) الديوان (طبعة شيخو) ، ص ١٢٠ .

٣) الاغاني ٩ : ١٢ .

هذا ان يرثي « اخاه » لما قتله بنو مرّة ، كما سنرى .

ازواجها وابناؤها

ذكر احد شرّاح ديوانها[1] انها تزوّجت اربع مرات . الا ان الثابت المعروف انها ، بعد ان ردّت دريد بن الصمة كما تقدّم ، خطبها رواحة بن عبد العزيز السُلمي ، ثم مات . فتزوّجها عبد العُزّى[2] او عبدالله بن عبد العزّى ، من بني خُفاف . فولدت له عمرًا ، والبعض يدعونه عبدالله ، وهو المعروف بابي شجرة . وكأنّ ابن قُتيبة خلط بين خطيبها المتوفّى وزوجها هذا ، فقال : « فخطبها رواحة بن عبد العزّى (والصواب ابن عبد العزيز كما في الحاشية) السلمي ، فولدت له عبدالله وهو ابو شجرة . »[3] وكان ذلك نحو السنة ٥٩٣ ، كما استنتجنا من وجود ابنها هذا محارباً الى جنب خاله صخر في يوم الحوزة الثـاني نحو السنة ٦١٣ ، وكما نستنتج ايضاً من انتقاضه على الاسلام في الرِدّة سنة ٦٣٣ ، ومحاربته خالد بن الوليد ، وذلك حيث يقول :

فروّيت رمحي من كتيبة خالدٍ   واني لأَرجو بعدها ان أُعمّرا

وقد كان في مـكتمل العمر ، كما يتّضح من قوله بعد ان اسلم ، واتى المدينة فطلب الصدقة من عمر بن الخطاب ، فعلاه هذا بالدِرّة حين عرفه . فرجع ابو شجرة وهو يقول من ابيات :

لمّا رهبت ابا حفصٍ وشرطتَه   والشيخ يفزع احيانًا فينحمقُ . . . [4]

---

١) طبعة الاب شيخو ، ص ٥٧–٥٨ . ٢) الاغاني ١٣ : ١٤١ .

٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٩٧ .

٤) اطلب في ذلك الطبري : اخبار الرسل والملوك ١ : ١٩٠٥ – ١٩٠٧ ؛ وهو لا يسميه الا بابي شجرة ابن عبد العزّى – والبلاذري : فتوح البـلدان ، ص ٩٧ ؛ وهو يدعوه ابا شجرة عمرو بن عبد العزّى السُلمي .

هذا ولا نعرف الا ابا شجرة من اولاد الخنساء لزوجها الاول. امـا البـاقون ، وهم : يزيد ، ومعاوية ، وحَزن (ومنهم من يجعل معاوية وحزناً واحداً) ، وعمرو ، وسراقة ، وعَمرَة ، فكلهم من مرداس بن ابي عامر السُلمي الذي تزوَّجها بعد عبـد العزّى. ولا يمكن ان يتقدَّم زمن هـذا الزواج السنة ٦١٢ ، لان زوجها الاول كان لا يزال حيًّا في تلك السنة ، يقاتل مع اخيها معاويـة في يوم الحوزة الاول ، وهو اذ ذاك « شيخ له ضفيرتان »[1] . كما انه لا يمكن ان يتأخر زواجها الثاني كثيراً عن هذا الوقت ، لما نعرفه من ان اربعة من اولادها حاربوا في وقعـة القادسية سنة ٦٣٧ وقُتلوا جميعهم ، فلزم ، والحـالة هذه ، ان يكون اصغرهم ، اذ ذاك ، في عنفوان شبابه . فاذا اعتبرنا القتـلى من اولادها الاربعة الاولين ، وجعلنا بين مولد الواحد والآخر معدَّل سنة ونصف سنة ، حقَّ لنا ان نجعل زفاف الخنساء الى مرداس بعد يوم الحوزة بقليل .

اما العبَّاس بن مرداس ، الشاعر المعروف ، الذي حضر يوم الحوزة الاول ، اي قبل زواج ابيه بالخنساء ، وهو اذ ذاك « شاب جميل له وفرة حسنة »[2] ، ووفد على النبي في بني سُليم السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩ — ٦٣٠) فاننا نُنكر ان يكون من الخنساء ، وان خالفنا اكثر الرواة ، مستندين الى قول ابن الكلبي[3] ، والى ما تقدَّم من ذكر وجوده شاباً قبل زواج ابيه بالخنساء[4] . الا ان يكون مرداس تزوَّج الخنساء قبل عبد العزّى[5] ،

---

١) الاغاني ١٣ : ١٤١ . ٢) الاغاني ١٣ : ١٤١ .

٣) البغدادي : خزانة الادب ١ : ٣٠٨ .

٤) راجع Rhodokanakis, *Al-ʿAbbâs b. Mirdâs-Enc. de l'Islam, I,* 12.

٥) نرى اشارة الى ذلك في شرح الديوان (طبعة شيخو) ، ص ٥٨ .

فولدت له العبّاس ، ثم طلّقها (او طلقته) فورَ ذلك ، فتزوّجها عبد العزّى . ثم رجع اليها مرداس ، فولدت له سائر اولاده . وليس لدينا الآن مـا يُثبت ذلك .

وقـد اشتهر ابناء الخنساء جميعهم بالفروسية وقول الشعر . وماتوا كلهم في حياتها على ما يظهر ، اذ لم يُذكر ، في شيخوختها ، الا ابنتها عَمرة التي احتُفل بزفافها في خلافة معاوية ، كما تقدّم عن علقمة بن جرير .

مقتل اخويها

لما كان مقتل اخوي الخنساء من الحوادث الجليلة ، بل الحادثة الجلّى ، التي اثّرت في حياتها فحوّرت مجرى شعورها وافاضت شاعريتها الحساسة ، رأينا من الضروري ان نتبسّط بعض التبسّط في اسباب الحادث ونتائجه . نذكر ذلك عن ابي عبيدة ، وابي بلال بن سهم السُلمي ، مستندين الى الاغاني [1] والعقد الفريد [2] والشعر الشعراء [3] :

مقتل معاوية – يوم الحوزة الاول (نحو سنة ٦١٢)

اختلف معاوية بن عمرو ، اخو الخنساء ، وهاشم بن حرملة ، من سراة بني مرّة بن غطفان ، في سوق عكاظ ، فتشاتما ، وتواعدا . فلما مضى الشهر الحرام ، تهيّأ معاوية ليغزو هاشماً ، فنهاه اخوه صخر ، وكان اكبر منه سنا . فلم ينتهِ . وخرج في فرسان من اصحابه من بني سُليم حتى اذا كان

---

١) الاغاني ١٣ : ١٤٠ وما يليها .
٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣ : ٧٤ .
٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٩٨ .

بمكان يدعى الحوزة، (ويقول البعض : الحورة، وغيرهم : الجوزة)[1]
دوّحت عليه طير، وسنح له ظبي، فتطيّر منها؛ ورجع في اصحابه.
وبلغ ذلك هاشم بن حرملة، فقال : « ما منعه من الاقدام الا الجبن ».
فلما كانت السنة المقبلة، غزاهم؛ حتى اذا كان في ذلك المكان سنح له
ظبي وغراب، فتطيّر، فرجع، ومضى اصحابه. وتخلّف في تسعة عشر
فارساً منهم لا يريدون قتالاً. فوردوا ماء، واذا عليه بيت شعر،
فصاحوا باهله. فخرجت اليهم امرأة. فقالوا : « ممن انتِ ؟ » قالت :
« امرأة من جُهينة، احلاف لبني سهم بن مرّة بن غطفان. » فوردوا
الماء يسقون. فانسلّت المرأة وأتت هاشم بن حرملة، فاخبرته انهم غير
بعيد، وعرّفته عدّتهم، وقالت : « لا ارى الا معاوية في القوم. »
فقال : « امعاوية في تسعة عشر رجلاً ؟ . . . شبّهتِ وابطلتِ. » قالت :
« بلى. قلت الحق؛ وان شئت، لاصفنّهم لك، رجلاً رجلاً. » قال :
« هاتي. » قالت : « رأيت فيهم شاباً عظيم الجمّة، جبهته قد خرجت
من تحت مغفره، صبيح الوجه، عظيم البطن، على فرس غرّاء. » قال :
« نعم هذه صفته »[2] (يعني معاوية). قالت : « ورأيت رجلاً شديد

---

١) قال ياقوت : الحوزة : وادٍ بالحجاز، كانت عنده وقعة لعمرو بن معدي كرب مع بني سُليم. قلنا : وهو اقرب من منازل بني سُليم، فاكثر احتمالاً من الحورة الواقعة بين الرقة وبالس على الفرات. اما الجوزة فلم نرَ لها ذكراً.

٢) ويذكر الاغاني : ان هاشماً عرف فرس معاوية ايضاً، وهو يسمّيها الشماء. الا ان العقد الفريد يقول ان « الشماء » فرس هاشم، وهو اقرب لما سنرى من سياق الحديث.

الادمة ، شاعراً ، ينشدهم .» قال : «ذلك خُفاف بن عُمير [1] » قالت : «ورأيت رجلًا ليس يبرح وسطهم ، اذا نادوه ، رفعوا اصواتهم .» قال : «ذاك عبّاس الاصم .» قالت : «ورأيت رجلًا طويلًا يكنّونه ابا حبيب ، ورأيتهم اشدّ شيء له توقيراً .» قال : «ذاك نبيشة بن حبيب.» قالت : «ورأيت شاباً جميلًا له وفرة حسنة.» قال : «ذاك العباس بن مرداس السلمي.» قالت : «ورأيت شيخاً له ضفيرتان ، فسمعته يقول لمعاوية : بابي انت ، اطلت الوقوف.» قال : «ذاك عبد العزّى، زوج الخنساء ، اخت معاوية.»

ثم نادى هاشم في قومه وخرج . وقيل : لم يخرج اليهم الا في مثل عدّتهم من بني مرّة . فلم يشعر السُلميون حتى طلعوا عليهم . فثاروا اليهم، فلقوهم . فقال لهم خُفاف : «لا تنازلوهم رجلًا رجلًا ، فان خيلهم تثبت للطراد ، وتحمل ثقل السلاح ، وخيلكم قد انهكها العدو ، واصابها الحفا .» فاقتتلوا ساعة . وانفرد هاشم ودريد ابنا حرملة المرّيان لمعاوية . فرآه هاشم قبل ان يراه معاوية ، وكان ناقهاً من مرض ، فقال لاخيه دريد : «ان هذا ، ان رآني ، لم آمن ان يشدّ عليّ ، وانا حديث عهدٍ بشكيّة ، فاستطرد له دوني حتى تجعله بيني وبينك .» ففعل . فحمل عليه معاوية ، واردفه هاشم . فاختلفا طعنتين : فاردى معاوية هاشماً عن فرسه الشماء [2] . وانفذ هاشم سنانه من بطن معاوية . ثم كرّ

---

١) وهو المعروف بخُفاف بن ندبة . وندبة امّه كانت امة سوداء . وهو ابن عم الخنساء .

٢) هذا قول العقد الفريد . واما الاغاني فيقول ان الشماء فرس معاوية ، كما ذكرنا في حاشية الصفحة السابقة .

دريد على معاوية وهو يظنه قد قتل هاشماً . فضربه بالسيف فأجهز عليه .

ولما قُتل معاوية ، قال خُفاف : « قتلني الله ان برحت من مكاني حتى اثأر به » . ثم شدَّ على مالك بن حمَّاد (او حمَّار او خمَّار) الشمخي ، سيّد بني فزارة وشيخهم ، فقتله . وفي ذلك يقول من ابيات :

فان تك خيلي قد اصيب صميمها ، فعمدًا على عينٍ تيممت مالكا
تيممت كبش القوم ، حين رأيته ، وجانبت شبان الرجال الصعالكا ،
اقول له ، والرمح يأطر متنه : « تأمل خُفافًا ، انني انا ذلكا ! » (1

وكانت الشمّاء فرس هاشم دخلت في خيل بني سُليم ، فاخذوها وظنوها فرس الفزاري الذي قتله خفاف . ورجعوا حتى دنوا من صخر ، اخي معاوية ، فقالوا : « انعم صباحاً ، ابا حسان » قال : « حُييتم بذلك . ما صنع معاوية ؟ » قالوا : « قُتل ! » قال : « فما هذه الفرس ؟ » قالوا : « قتلنا صاحبها . » قال : « اذًا قد ادركتم ثأركم ، هذه فرس هاشم بن حرملة . » ثم قال ابياتاً يرثي فيها معاوية ، ورثاه ايضاً دريد بن الصمة .

الاخذ بثأر معاوية : يوم الحوزة الثاني (نحو السنة ٦١٣)

فلما كان الشهر الحرام من العام الثاني ، خرج صخر على الشمّاء ، صبيحة يوم ، فاتى بني مرة . فلما رأوه قال لهم هاشم ، وكان لا يزال مريضاً من الطعنة التي طعنه معاوية : « هذا صخر ، فحيّوه وقولوا له خيرا . » فاقبل صخر حتى وقف عليهم ، فقال : « من قتل اخي ؟ » فسكتوا . فقال : « لمن هذه الفرس التي تحتي ؟ » . فسكتوا . فقال دريد لهاشم : « ما لك لا تُجيبه ؟ » فقال لصخر : « وقفت له ، فطعنني هذه الطعنة في عضدي ، وشدَّ اخي عليه فقتله . فأيّنا قتلت ، ادركت ثأرك . » قال :

---

1) الاغاني ٢ : ١١٥ ؛ و١٣ : ١٤١ – والبغدادي : خزانة الادب ٢ : ٤٧٠ .

« فهل كفنتموه؟» قال: « نعم في بُردين احدهما بخمس وعشرين بكرة.»
قال: « فاروني قبره» فأروه اياه. فلما رأى القبر جزع عنــده. ثم قال:
« كأنكم قد انكرتم ما رأيتم من جزعي! فوالله، ما بتّ مذ عقلت
الا واترًا او موتورًا، او طالباً او مطلوباً، حتى قُتل معاوية فما ذقت طعم
نوم بعده.»

فلما اتى صخر قومه، قالوا له: «اهجهم». قال: « ان ما بيننا اجلّ
من القذع، ولو لم اكفف نفسي رغبةً عن الخنا، لفعلت.»

ولم يلبث ان غزاهم على الشماء، فقال: « اني اخاف ان يعرفــوني
ويعرفوا غرّة الشماء، فيتأهبوا.» فحمّم غُرّتها، وسوّد تحجيلها. فلــما
اشرف على ادنى الحي، رأته بنت لهاشم، فقالت لعمها دريد: « اين
الشماء؟» قال: « هي في بني سُليم.» قالت: « ما اشبهها بهذه الفرس!»
فاستوى جالساً. فقال: « هذه فرس بهيم، والشماء غرّاء محجّلة.» وعاد
فاضّجع. فلم يشعر الا والخيــل دوانس. فاقتتلوا فقتل صخر دريدًا،
واصاب بني مرة. فثاروا وتناذروا. فولّى صخر، وطلبته غطفان عامّــة
يومها. وعارض دونه ابو شجرة ابن عبد العزّى؛ وكانت امه الخنساء اخت
صخر. فردّ الخيل عنه حتى اراح فرسه، ونجا الى قومه.

واما هاشم فانه خرج منتجعاً، فلقيه عمرو بن قيس الجشمي، فتبعه
وقال: « هذا قاتل معاوية، لا وألت نفسي ان وأل.» فلما نزل هاشم
وخلا لحاجته، كمن له عمرو بين الشجر، حتى اذا دنا منه ارسل عليــه
سهماً فقتله. فمدحته الخنساء في ابيات.

مقتل صخر: يوم كُلاب او يوم ذات الاثل (نحو السنة ٦١٥)

كان صخر سيّد بني خُفاف، فسار بهم غازياً بني أسد، فاكتسحوا

امـوالهم ، وسبوا نساءهم . فـاتى الصريخ اهـل الحي ، فتبعوا الغازين . فتلاحقوا بذات الأثل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . وكان بـين الاسديـين فارس اسمه ربيعة بن ثور الاسدي ، فطعن صخراً في جنبه فجرحه ، وقيل ادخل فيه حلقة من حلق الدرع . ثم انصرف كل فريق الى حيّه . وجوي جرح صخر ، فرض قريباً من حول ، حتى ملّت امرأته معالجته ، وكانت من بنات عمه اسمها سلمى . وكان قومه يعودونه ، فقال احدهم لسلمى ، مستفهماً : « كيف اصبح صخر اليوم ؟ » فقالت : « اصبح لا حيًّا فيُرجى ولا ميتاً فيُنسى . » وكان صخر يسمعها ، فشقّ عليه . وفي روايـة [1] انه اراد قتلها ، فطلب سيفه ، فلم يُطقِ حمله . . . فقال البيت : « اهمّ بامر الحزم . . . » الذي سيأتي ذكره . ثم اتاه عائد آخر ، فسأل امّه : « كيف صخر اليوم ؟ » فقالت : « اصبح اليوم صالحاً بحمد الله . ما كان ، منذ اشتكى ، خيراً منه اليوم . وانا لنرجو العافية . »

فقال صخر في ذلك من ابيات :

اری امّ صخرٍ لا تملّ عيادتي ... وملّت سُلَيمى مضجعي ومكاني

وما كنت اخشى ان اكون جبيلةً ... عليكِ ، ومن يغترّ بالحدثانِ

وايّ امرئ ساوى بامّ حليلةً ... فلا عاش الا في شقا وهوانِ !

اهمّ بأمر الحزم ، لو استطيعه ! ... وقد حيل بين العَيرِ والنزوانِ ! [2]

فلما طال به البلاء ، وقد نتأت قطعة مثل الكبد من جنبه في موضع

---

[1] ابن قُتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٩٩ — وفي رواية اخرى انه علّقها بعمود الفسطاط حتى ماتت .

[2] امر الحزم : قال ابن قتيبة انه اشار في ذلك الى ما كان همّ به من قتل امرأته فلم يقدر على حمـل السيف . واردف بالمثل : « وقـد حيل بين العَير والنزوان » اي حال الموت بين الحمار والوثوب (اطلب الميداني ، نظم الاحدب ٢ : ٧٨) .

الطعنة ، قالوا له : « لو قطعتها ، رجونا ان تبرأ . » فقال : « شأنكم ! »
واشفق عليه بعضهم ، فنهاه . فابى . فاخذوا شفرة وقطعوا ذلك المكان .
فلم يلبث ان مات .

قال ابو عبيدة : وكان صخر كنحو مما ذكرت الخنساء في بأسه
وشجاعته وفروسيته وسخائه ، وكان قاسمها ماله ثلاث مرات . فجعلت
ترثيه ومعاوية عمرها كله .

تحقيق رواية

هذا المشهور في مقتل اخوي الخنساء . وقد جعل الاب شيخو [1] مقتل
الاول نحو السنة ٦١٢م، ووفاة الثاني نحو السنة ٦١٥ م . وجاراه على ذلك
المستشرق غبريالي [2] . فاذا اخذنا بهذا الرأي وانتبهنا للفرضية السابقة
في مولد القتيلين ، رأينا ان معاوية لما قُتل كان في نحو الاربعين من عمره،
وصخرًا في الخمسين . وهو ما قد يوافق قول الخنساء، اذ جعلت الاول فتًى
والثاني كهلًا، فقالت :

لا مثل كهلي في الكهو ل ، ولا فتًى كفتاها .

على ان في قبول هذا التاريخ (٦١٢و٦١٥) مشكلًا جديدًا يظهر
صعب الحلّ اذا ما انتبهنا لما يرويه الادباء من ان الخنساء انشدت
النابغة الذبياني في سوق عكاظ رائيتها في رثاء صخر . فقال لها النابغة :
« لولا ان ابا بصير انشدني آنفاً ، لقلت انكِ اشعر الجنّ والانس » .
ومشهور ان النابغة توفي على اثر وفاة النعمان بن المنذر، اي نحو السنة ٦٠٤ .

١) الاب شيخو : انيس الجلساء في ديوان الخنساء ص ١٢ و ١٩ — وطبعته
للشرح ص: 11 et 17 .

٢) راجع Cabrieli, *op. cit. p.* 109, 117.

فكيف التوفيق بين هذين الامرين ؟ لا نرى لذلك الا حلًّا من اربعة : اما ان تكون الخنساء انشدت النابغة شعرًا في غير الرثاء ، ويكون ذلك قبل مقتل اخويها طبعاً . ولا نعرف ما هو هذا الشعر . فان ابن قتيبة — وهو اول من روى الحادثة ، على ما نظن — لا يُشير الى نوعية القصيدة . وإما ان يكون صخر توفي قبل السنة ٦٠٤ ، او ان يكون النابغة عاش الى ما بعد السنة ٦١٥ . واما ان تكون الحادثة مختَرَعة من اصلها . هذا ما نرى الآن ، وعسى ان نصل في المستقبل الى حلّ نهائي .

في الاسلام

اسلامها

قدمت الخنساء على نبي العرب في وفد السلميين ، ومعهم العباس بن مرداس ، في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩—٦٣٠) فاسلموا جميعهم . الّا انها لم تتعزّ بالاسلام عن حزنها ، ولم تترك ما كانت عليه من ظواهر الحداد والتسلّب .

هي وعمر بن الخطاب

ومما يروى عنها في صدد ذلك ان بني عمها اقبلوا الى عمر بن الخطاب ، فقالوا : « يا امير المؤمنين ، هذه الخنساء لم تزل تبكي على ابيها واخويها في الجاهلية حتى ذهبت ، وادركت الاسلام ، وقد قرحت مآقيها ، كما ترى ؛ فلو نهيتها . . . » فدخل عليها ، فاذا هي على ما وُصف له . فقال : « ما اقرح مآقي عينيك ، يا خنساء ؟ » قالت : « بكائي على السادات من مُضر . » قال : « حتى متى يا خنساء ؟ اتقي الله . ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام . وانه لو خُلّد احد ، خُلّد رسول الله (صلعم) . وان الذين تبكين هلكوا في الجاهلية ، وهم اعضاء اللهب وحشو

جهنم.» قالت: «ذاك اطول بعويلي عليهم.» ثم انشدت شعراً في ذلك. فعذرها وقال: «لا الومك، يا خنساء، في البكاء عليهم. خلّوا سبيل عجوزكم، لا ابا لكم، فكل امرئ يبكي شجوه.»

وقيل ان عمر صادفها تطوف بالبيت محلوقة الرأس، تبكي وتلطم خدّها، وقد علقت نعل صخر في خمارها. فوعظها. فقالت: «اني رُزئت فارساً لم يرزأ احد مثله.» فقال: «ان في النـاس من هو اعظم مرزأة منك، وان الاسلام قد غطّى ما كان قبله، وانه لا يحلّ لك لطم وجهك ولا كشف رأسك.» فكفّت عن ذلك، وتعزّت بالرثاء عن العويل.

هي وعائشة

وروى ابن قتيبة وجامعو ديوانها انها اقبلت الى المدينة، فزارت عائشة، زوج محمد، وعليها صِدار اسود من الشعر، وهي حليقة الرأس تدبّ من الكبر على العصا. فقالت لها عائشة: «أُخناس.» فقالت: «لبيكِ، يا أُماه.» قالت: «اتلبسين الصِدار، وقد نُهي عنه في الاسلام؟» فقالت: «لم اعلم بنهيه.» قالت: «ما الذي بلغ بكِ ما ارى؟» قالت: «موت اخي صخر.» ثم وصفت لها صنيعه اليها وبرّه بها وقالت: «ان لصِداري سبباً. وذلك ان زوجي (ولعلها تريد زوجها الاول، اي عبد العزّى)[1] كان رجلاً متلافاً للاموال يُقامر بالقِداح فاتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء. فاراد ان يسافر، فقلت له: «أَقِم. وانا آتي اخي صخراً فأسأله.» فاتيته. وشكوت اليه حالنـا وقلة ذات يدنا فشاطرني ماله. فانطلق زوجي فقامر به، فقُمر حتى لم يبقَ لنـا

---

١) واشار احـد شرّاح الديوان الى ان هذا الزوج المتلاف انما هو الرواحي (ص ٥٧).

شيء . فعدت اليه في العام المقبل اشكو اليه حالنا ، فعاد لي بمثل ذلك. فاتلفه زوجي . فلما كان في الثالثة او الرابعة ، خلت بصخر امرأته فعذلته، ثم قالت : «ان زوجها مقامر ، وهذا ما لا يقوم له شيء . فان كان لا بدّ من صلتها ، فاعطها اخسّ مالك . فانما هو مُتلَف ، والخيار فيه والشرار سيّان .» فانشأ يقول لامرأته :

« والله لا امنحها شرارَها ، وهي حصانٌ قد كفتني عارَها
«ولو هلكتُ خرّقت خمارها ؛ وجعلت من شعرٍ صِدارها »

«ثم شطر ماله فاعطاني افضل شطريه . فلما هلك اتخذت هذا الصِدار . والله ، لا اخلف ظنه ، ولا اكذب قوله ، ما حييت .»

وقعة القادسية — مقتل اولادها الاربعة (٦٣٧)

ومن مآتي الخنساء في الاسلام انها حضرت وقعة القادسية ، سنة ٦٣٧ ، واوصت اولادها الاربعة ان يجاهدوا فيها حتى الموت . فحفظوا وصيتها ، وقاتلوا حتى قُتلوا كلهم . فلما بلغها الخبر ، قالت : « الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم . وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقرّ رحمته .» وكان عمر بن الخطّاب يعطيها ارزاق اولادها الاربعة ، لكل واحد مائتا درهم ، حتى قضى نحبه .

وفاتها

ولا نعلم ، بعد ذلك ، شيئاً عن الخنساء الا ما رواه علقمة بن جرير لمعاوية من انه شاهدها في البادية في عرس ابنتها عمرة ، وهي ملتفة بكساء احمر ، وقد هرمت . ولهذا ملنا الى القول بوفاتها في خلافة معاوية ، نحو السنة ٦٦٤ ، كما تقدم .

شعرها

الديوان

روایاته — نسخه — طبعاته — ترجمته

حفظ السُلميون اقوال الخنساء في حياتها ، وما زالوا يتناقلونها مفاخرين حتى اتاهم جامعو الشعر القديم في القرن الثامن ، فاخذوا ذلك عنهم ، ولا سيّما عن اشجع السلمي ، ابن اخت الشاعرة ، المتوفّى في اول القرن الثاني للهجرة . فألّفوا « ديوان الخنساء » الذي شرحه عدد من العلماء اشهرهم ابن السكّيت ، وابن الاعرابي ، والثعالبي . وقد حفظت شروحهم في نسختين للديوان كتبهما في السنة ٢٢٤ للهجرة (٨٣٩ م) العاصمي والكرماني ، ووقف عليهما احد الادباء في السنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ — ١٢٢٤ م) فجمعهما معاً في النسخة التي وقف عليها المرحوم الاب شيخو في مكتبة القاهرة ، فاستعان بها في طبعة « انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء » سنة ١٨٩٦ . وكان قد استعان ، قبل ذلك بتسع سنوات ، بنسخة وجدها في حلب ، فطبع ديوان الشاعرة طبعةً اولى سنة ١٨٨٨ ، فكان اول من شهرها في عصرنا . وهناك ، غير ما تقدم ، نسخ مختلفة تبلغ الاربع او الخمس وقف عليها الاب شيخو . فوصفها في مقدمة طبعته الثانية ، وكلها اقرب الى عصرنا من النسخة المصرية . هذا وللديوان طبعة مصرية أُخذت سنة ١٨٨٨ عن طبعة الاب شيخو الاولى ، ثم له طبعة مدرسية مختصرة نشرها الاب شيخو سنة ١٨٩٥ بعنوان «انيس الجلساء في ديوان الخنساء» . وكذلك نُشر للخنساء

عدة قصائد في المجموعات الادبية الشرقية وترجم اكثرها. اما ترجمة الديوان بكامله الى الفرنسوية فقام بها الاب دي كوپيه (de Coppier) اليسوعي، ونشرها في بيروت سنة ١٨٨٩، فاتت اثراً نفيساً جامعاً الى دقة الترجمة جمال التعبير الشعري.

وفضلاً عمّا تقدّم، نشر المستشرقون تآليف مخصوصة بالخنساء: حياتها وعصرها وشعرها، واشهر هذه التآليف كتاب غبريالي (G. Gabrieli) بالايطالية المذكور آنفاً والمنشور في فلورنسة سنة ١٨٩٩، وكتاب رودوكناكيس (N. Rhodokanakis) بالالمانية المطبوع في ڤيِنّة سنة ١٩٠٤.

صحة نسبته

لا شك ان في ديوان الخنساء، كما وصل الينا اليوم، عدداً غير قليل من ابيات لم تقلها الخنساء، يؤيد ذلك ما نراه من كثرة المراجعات اللفظية والاختلاف في بعض الفقرات، والتباين بين الروايات، وهي، وان لم تدلّ تمام الدلالة على الانتحال، فانها تشير الى بعض التوسّع في افكار الشاعرة، والسير على اسلوبها في نظم عدد من الابيات. بيد ان ديوانها، على علّاته، يظهرمن اسلم الشعر الجاهلي من النحل، واقربه الى الصحة، لما عرفنا من اعتناء بني سُليم فيه من عهد بعيد، ومن استناد جامعيه الى اهل الخنساء انفسهم، وهم احرص الناس على سلامة اقوالها. اضف الى ذلك الصفات الجاهلية البارزة في اكثر قصائدها، كما سنتحقق، والدالة على جاهلية شعرها.

قيمتها

قال المبرّد : « من احسن المراثي ما خُلط فيه مدح بتفجيع على المرثي . فاذا أُوقع ذلك بكلام صحيح ، ولهجة مُعربة ، ونظم غير متفاوت ، فهو الغاية من كلام المخلوقين . وكذلك رثاء الخنساء . » وهو اصدق ما وصل الينا من الشعر العربي في نوعه ، واخلصه عاطفة في التعبير عن الحزن العميق ، الدافع بصاحبه الى طلب الثأر ، وقصد الانتقام حيناً ، والى اليأس المفجع احياناً . وذاك لان الشاعرة ، وهي امرأة وافرة العواطف ، لا تصغي الا لنبضات قلبها الجريح ، ولا ترى الا ما وراه التراب من صفات واخلاق كانت ، ولا تزال ، نصب عينيها ، مثال الكمال البشري . فهي تذكرها وتعدّدها ، كما تخرج من خلال عواطفها المتألمة دون تكلّف ، بل دون ترتيب ، لا تعبأ بما يوفّر لها الدين من التعازي العلوية ، ولا بما يقدم لها العقل من الحكم العامة ، كما انها لا تعبأ بتنسيق افكارها ، وصقل نظمها ، فتأتي بالمراجعات حيناً — واكثر ما نراها في تعداد صفات صخر - غير منتبهة لتنظيمها ، وتقطع على نفسها مجراه احياناً ، فتكتفي بالانّة الوحيدة القوية تجرح قلب السامع ، وباللمحة من الصورة الجميلة تخلب لبّ المطالع ، غير مكترثة لما وراء ذلك من استغلال موضوعها على مقتضيات الفنّ . فهي شاعرة اكثر منها ناظمة . وهو ما يروقنا فيها ، ويرفعها في اعيننا الى اعلى درجة من الرثاء العاطفي [1] ، وان كان للبعض ممن عاصرها او تأخر عنها من الرثائيين قوة سبك وجمال شاعرية

---

١) راجع الروائع ٢ : ٢٤ وفيها ترتيب اصحاب الرثاء في الجاهلية .

لا نراهما في شعر الخنساء. ولعلّ هذا ما دفع الاصمعي اللغوي ، الى تقديم ليلى الاخيلية على شاعرتنا ، وقد قال ابو زيد في ذلك : « ليلى اكثر تصرّفاً ، واغزر بحراً ، واقوى لفظاً . والخنساء اذهب عموداً في الرثاء. »

اما ما ادخلت الخنساء من صفات جديدة في المرثية فمن الصعب ان نحدّده، لانه لم يصل الينا شيء تام من هذا النوع قبل قصائدها، الا ما ورد عن المهلهل؛ وهو في مجمله يقرب من طريقة الخنساء. ولكن ما لا شكّ فيه هو ان من تبعها من شعراء الرثاء وشواعره اغترفوا جميعهم من بحرها الفيّاض بفيض العاطفة البشرية.

فلا عجب في من كانت هذه صفتها ان يجمع علماء الشعر على تقديمها على شواعر العرب كافة ، وان يقرّ لها كبار الشعراء، في العصور المختلفة، كجرير وبشّار وغيرهما. وكفاها بقول النابغة ، اذا صحّت تلك الحادثة ، شهادة بعلوّ كعبها وسموّها.

اما الحادثة فهي التي اشرنا اليها، وذكرها ابن قتيبة عن ان الخنساء انشدت النابغة في سوق عكاظ فقال لها : « والله ، لولا ان ابا بصير انشدني آنفاً لقلت : انك اشعر الجن والانس . » فغضب حسان. فاقنعه النابغة بصحة قوله بعد ان جعل الخنساء تنشده من شعرها [1].

هذا كل ما ذكر ابن قتيبة . وهو لا يبعد بمجمله عن المحتمل المعقول ، اذ لم يذكر نوع الشعر الذي انشدته الخنساء ، ولم يحدّد وقت ذاك الانشاد. اما من اتى بعده من الادباء فانهم اخذوا يزيدون في الحادثة ويضيفون من عندياتهم ما يرونه موافقاً حتى اخرجوها ؛ او كادوا ، عن الاحتمال ، فعيّنوا اولاً الشعر الذى انشدته الخنساء ، ثم عيّنوا الشعر الذي

1) ابن قتيبة : الكتاب المذكور ، ص ١٩٧ — ١٩٨.

انشده حسان . ثم اقاموا من الخنساء ناقدة ادبية تردّ على حسان، وتنتقد شعره نقداً مفصلاً اشبه بنقد الادباء البيانيين. وهو يبعد عن عقلية الخنساء بُعد هؤلاء الادباء عن عصرها الجاهلي. فألفوا من ذلك حكاية ادبية لطيفة رأينا ان نوردها خاتمة لدرسنا هذا على سبيل التفكهة ليس غير:

كان النابغة الذبياني تُضرب له قبة حمراء، فيجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسي. فينشدونه، فيفضّل من يرى تفضيله. فانشدته الخنساء في بعض المواسم قصيدتها الرائية التي منها:

وان صخرًا لتأتم الهُداة به، كأنه علمٌ في رأسه نارُ!

فاعجب بشعرها، وقال لها: «لولا ان هذا الاعمى انشدني قبلك (يعني الاعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم.» فسمعه حسان بن ثابت، وكان قد انشده، فغضب، وقال: «والله، لأنا اشعر منك ومنها.» فقبض النابغة على يده وقال: «يا ابن اخي، انت لا تُحسن ان تقول:

«فانك كالليل الذي هو مُدرِكي، وان خلت ان المُنتأى عنك واسعُ.»

ثم قال للخنساء: «انشديه» فانشدته. فقال: «ما رأيت امرأة اشعر منك.» قالت: «ولا فحلًا.» فقال حسان: «انا، والله، اشعر منكِ حيث اقول:

لنا الجفنات الغرُّ يلمعنَ بالضحى، واسيافنا يقطرن، من نجدةٍ، دما؛

وَلَدْنا بني العنقاء وابنَي محرّقٍ؛ فاكرم بنا خالاً! واكرم بنا ابنا!»

فقالت الخنساء: «ضعفت افتخارك وانزرته في ثمانيـة مواضع.» قال: «وكيف؟» قالت: «قلت: «لنا الجفنات»، والجفنات ما دون العشر، فقلّلت العدد؛ ولو قلت: «الجفان» لكان اكثر. وقلت: «الغرّ»، والغرة البياض في الجبهة؛ ولو قلت: «البيض» لكان اكثر اتساعاً. وقلت: «يلمعنَ» واللمعان شيء يأتي بعد شيء؛ ولو قلت: «يشرقنَ» لكان اكثر لان الاشراق ادوم من اللمعان. وقلت: «بالضحى»؛ ولو قلت: «بالدجى» لكان ابلغ لان الضيف اكثر طروقاً بالليل. وقلت: «اسيافنا»، والاسياف دون العشرة؛ ولو قلت: «سيوف» لكان اكثر. وقلت: «يقطرنَ»، فدللت على قلة القتل؛ ولو قلت: «يجرينَ» لكان اكثر لانصباب الدماء. وقلت: «دماً»،

والدماء اكثر الدم. وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك.» (١ فقام حسان منكسرًا منقطعًا.

---

١) من اغرب ما نراه لمؤرخي الادب في عصرنا من قلة التمحيص وعدم الانتباه ، انهم يتناقلون هذه الحادثة ويشيرون جميعهم الى مواضع النقد الثانية في شعر حسّان، حتى اذا عدّدوها رأيناها سبعة لا ثمانية. والسبب في ذلك انهم سهوا—بل سها الاول منهم فتبعوه في ذلك — عن ان يذكروا بيت حسان الثاني: « وَلَدْنا الخ » ، ففاتهم ان يوردوا نقد الخنساء عليه وهو الثامن من نقودها، اذ تقول: «وفخرت بمن ولدت. . .» وهم لو عدّوا، على اصابعهم، ما اوردوا من مواضع النقد، لتداركوا هفوتهم، وسلموا من الانتقاد.

مآخذ

راجع اجمالًا ما ذكرناه في مآخذ الشعر الجاهلي (الروائع ٢: ٤٢) وخصوصًا ما يلي:

الاب لويس شيخو: انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، بيروت، ١٨٩٦.

ابن سلّام: طبقات الشعراء، طبعة Hell، ايدن ١٩١٦، ص ٤٨ و ٥١.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء، طبعة de Gœje، ليدن ١٩٠٢، ص١٩٧.

ابن عبد ربه: العقد الفريد، القاهرة، ١٨٨٦، ٣: ٧٤.

ابو الفرج الاصبهاني: الاغاني، بولاق ١٨٦٨، في عدة مواضع، خصوصًا ١٣: ١٣٥.

الطبري: اخبار الرسل والملوك، (طبعة *de Gœje*)، ١: ١٩٠٥.

عبد القادر البغدادي: خزانة الادب، بولاق، ١: ٢٠٨.

البستاني: دائرة المعارف، ٧: ٤٨٤.

A. P. Caussin de Perceval, *Essai sur l'Histoire des Arabes, Paris, 1847, t. II.*

F. Krenkow, *Al-Khansâ' - Encyclop. de l'Islam, II, 954.*

القسم الاول

رثاء معاوية

قُتل معاوية في يوم الحوزة الاول ، نحو السنة ٦١٢ ، قبل مقتل صخر بنحو ثلاث سنوات (راجع المقدمة ص : ط) فقالت فيه الخنساء عدة مراثٍ من اشهرها : (١

١ الا ما لعيني ! الا ما لها ! وقد اخضل الدمعُ سربالَها ! (٢

ابعد ابن عمروٍ منَ آل الشريد حلّت به الارض اثقالها ، (٣

يدَ الدهر ، آسى على هالكٍ واسألُ نائحةً ما لها ؟ (٤

لتجرِ المنيّــةُ ، بعد الفتى المُغادَر بالمحوِ ، أذلالها (٥

---

١) ورد في الاغاني (١٣ : ١٣٧) عن ابي عبيدة : ان القصيدة في رثاء صخر . الّا ان السُلَمي انكر هذا الزعم . هذا وللقصيدة روايات مختلفة مع انقاص وتبديل في بعض ابياتها ، فلم نشر الى كل ذلك ، بل اكتفينا بما رأيناه موافقاً تابعين ترتيب طبعة الاب شيخو العلمية .

٢) في طبعة شيخو : الا ما لعينكِ ام مالها .

٣) يختلف الشراح في معنى الشطر الثاني . على ان المعقول المرجح انها تريد ان الارض زيّنت به موتاها فتكون الاثقال جثث الموتى ، وعلى هذا فُسّرت الآية القرآنية : « واخرجت الارض اثقالها . »

٤) آسى : احزن ، وهو جواب « ابعد ابن عمرو . . . »

٥) المحو : مكان بين أُبلى وتعار وهما جبلان بين مكة والمدينة . أذلالها : قال الميداني : ارادت « الامور على اذلالها » فحذفت على . والاذلال : جمع ذلّ : الطريق ، الحالة ، فيكون معنى البيت : لست آسي على شيء بعده ، فلتجر المنية على طرقها .

٥ هممت بنفسي كل الهموم ، فأولى لنفسي ، اولى لها ! [1]
سأحمل نفسي على آلةٍ ، فإمـا عليها وإمـا لها ؛ [2]
فان تصبر النفسُ تلقى السرور ، وان تجزع النفسُ اشقى لها !
نُهين النفوس ، وهون النفوس ، يوم الكريهة ، ابقى لها ؛ [3]
ونعلم ان منايا الرجا ل ، بالغةٌ حيث يُحكى لها !
١٠ نلين اذا ما ابتُغي ليننا ، وان عادت الحرب ، عُدنا لها !
لعمر ابيك ، لنعم الفتى تحشُّ به الحرب اجذالها ، [4]
حديد السنان ، ذليق اللسانِ ، يجازي المَقارِض امثالها . [5]
فنفسي الفداء له من فقيدٍ ، ابت ان تُزايل إعوالها !
ورجراجةٍ فوقها بيضُها ، عليها المضاعَفُ زفْنا لها ، [6]

---

١) قال ابو عبيدة : همّت بان تغزو . وقال الاثرم وصاحب الاغاني : كأنها ارادت ان تقتل نفسها .

٢) على آلة : على حالة يكون فيها الهلاك او النجاة ، وهو معنى : « فإماً عليها وإماً لها » ، وهذه الحالة هي الحرب . ارادت ان تحرّض عشيرتها فقالت : ما اراني الا سأقوم مقامكم ، فإما ان ادرك غايتي من الاثئار ، وإما ان اهلك .

٣) ابقى لها : اي ابقى لها في الذكر والقول .

٤) تحشّ : توقد . الاجذال : ج. جذل : اصل الشجر .

٥ السنان : في رواية : الفؤاد . المقارض : الغزوات — يعامل الاعداء كمعاملتهم له .

٦) الرجراجة : الكتيبة كأنها تتحرّك وتتمخّض من كثرتها . المضاعَف من الدروع : التي تُنسج حلقتين حلقتين . زفنا : اي مشينا رويداً رويداً من العز والفخر . وفي رواية : عليها المضاعَف امثالها .

١٥ كَكِرفِئة الغيث ، ذات الصبيـ ـرِ ترمي السحاب ويُرمى لها ؛ [1]

وخيلٍ تَكدَّسُ بالدارعيـ ـنَ نازلتَ بالسيف ابطالها ؛ [2]

وداهيـةٍ جرّهـا جـارمٌ تُبين الحواضنُ احمالهـا ، [3]

كفاها ابن عمرو ، ولم يستعنْ ؛ ولو كان غيرك ادنى لها ، [4]

وليس بأولى ، ولكـنه سيكفي العشيرةَ ما غالها ، [5]

٢٠ بمعتركٍ بينها ضيّقٍ ، مجرَّ المنيّةِ اذيالهـا ، [6]

تطاعنهـا ، فاذا ادبرت ، بللت من الدمِ اكفالها .

وبيض منعت ، غداة الصُبا ح ، تكشف الروع اذيالها .

---

١) الكِرفِئـة : السحاب المرتفع المتراكم . الصبير : السحاب الابيض الثقيل . ترمي . . . : اي تنضم الى السحاب وتتصل به تارةً ، وطورًا ينضم هو اليها حتى يستوي .

٢) تكدّس : تسير مستعجلة ، متقحّمة بعضها على بعض لكثرتها وضيق المكان . وفي رواية : « وخيل تكدّسُ مشيَ الوعول » . نازلتَ : تخاطب اخاهـا معاوية ، تمدحه بالشجاعة والحمية في هذا البيت وما يليه كما تمـدحه بالفصاحة في الابيات ٢٩-٣٢ .

٣) الجـارم : المذنب الذي سبّب تلك الداهية ، وهو ليس من معاوية في شيء . تبين . . . : اي تسقط الحوامل اولادها من شدّة الفزع .

٤) المعنى : ان معاوية كفى القوم هذه الداهية دون ان يستعين باحد ؛ وان لم يكن ادنى الناس الى اولئك القوم . اي انه يكفي قومًا ليس بينه وبينهم قرابة قريبة ، كما يتضح ايضًا من البيت التالي .

٥) بأولى : يروى : بأدنى .

٦) مجرّ المنيّةِ اذيالها : في الاغاني : تجرّ المنيّةُ اذيالها . اذيال المنيّة : الرماح .

وهاجرةٍ حرّها واقدٌ جعلتَ رداءك اظلالها ؛

ومُجمَعَةٍ سُقتَها ، قاعدًا ، فـاعلمت بالرمح أَغفالها ؛ [1]

٢٥ وناجيةٍ ، كأتانِ الثميل ، غادرت بالخلّ اوصالها ، [2]

الى ملكٍ ، لا الى سوقةٍ ، وذلك ما كان إعمالها . [3]

وتمسح خيلك ارض العدى ، وتنبذ بالغزو اطفالها ؛ [4]

ونوحٍ بعثت كمثل الإرا خِ آنست العِينُ اشبالها . [5]

وقافيةٍ مثل حدّ السنا نِ ، تبقى ويذهب من قالها ،

٣٠ تقدُّ الذؤابة من يذبُلٍ ابت ان تفارق اوعالها ، [6]

نطقت ، ابنَ عمرو ، فسهّلتها ؛ ولم ينطقِ الناس امثالها .

---

١) المُجمَعَة : الكتيبة . ويروى : مُعمَلة : الكتيبة ايضًا . اعلمت : وسمت . الاغفال : ج . غُفل : الذي ليس عليه سمة من الدواب . اي سقت هذه الكتيبة، وانت قاعد على فرسك، او في بيتك .

٢) الناجية : المسرعة . اتان الثميل : الصخرة يجرفها السيل . الخلّ : الطريق في الرمل . ويروى : المَحل : المكان الذي لا نبت فيه .

٣) المعنى : انك اعملتها ، فتركت اوصالها في الطريق ، وانت قاصدٌ الى ملك لا الى سوقة . وذلك كان شأنها الذي أُعملت فيه . وفي رواية : كان أُكلًا لها .

٤) تنبذ : الضمير للخيل .

٥) الاراخ : ج . إرخ : ولد البقرة الوحشية . العِين : البقر . — ربّ نوح في نساء قتلت رجالهنّ فبعثتهنّ للنوح كالبقر الوحشية اذا رأت اولادها .

٦) الذؤابة : اعلى كل شيء . يذبل : جبل في اقصى ارض بني كلاب . تصف حدّة القافية ، اي القصيدة ، وشدة مضائها . ابت ان تفارق اوعالها : صفة للذؤابة اي انها عالية منيعة ، لان الوعول تسكن اعالي الجبال فتمتنع فيها .

فان تلكُ مرّةُ اودت به ، فقــد كان يُكثر تقتالها :
فيوماً تراه على هيكلٍ ، اخا الحرب يلبس سربالها ؛
ويومــاً تراه عــلى لــذّةٍ وعيشٍ رخيٍّ فقدنا لهــا .
٣٥ فخرّ الشوامخ من قتله ، وزلزت الارض زلزالها . [1]
وزال الكواكب من فقده ، وجُلّلت الشمس أجلالها . [2]

وقالت ايضاً ترثي معاوية

الا لا ارى في الناس مثل معاويه
اذا طرقت احدى الليالي بداهيه ،
بداهيــةٍ يُضغي الكلابَ حسيسُها
وتخرج من سرّ النجيّ علانيه . [3]
الا لا ارى كالفارس الورد فارساً
اذا مــا علته جُرأة وغلانيه ، [4]
٤٠ وكان لِزاز الحرب ، عند شبوبها
اذا شمّرت عن ساقها، وهي ذاكيه ؛ [5]

---

١) لم يروِ هذا البيت الا المبرّد والشريشي .
٢) اجلالها : ج. جُلّ . اي كسفت الشمس فصار عليها مثل الجُلّ .
٣) الحسيس : الحسّ : الصوت . يُضغي : يُصيح . وفي رواية : يصئي الكلاب اي يصيح . وفي اخرى : يَصفي الكلابُ . وتخرج . . . : اذا انتجى بهذه الداهية منتجون ، اي اسرّوا خبرها ، ضاقت صدورهم فلم يمسكوا سرهم ، فاعلنوا بها .
٤) الغلانية : الغليان من شدة الغضب .
٥) لِزاز الحرب : لازم لها ، قائم بأمرها . ذاكية : مشتعلة .

وقوّادَ خيلٍ نحو اخرى ، كأنها
سَعالٍ وعقبانٌ عليها زبانيه . [1]

بلينا ، وما تبلى تِعارٌ ، وما تُرى ،
على حدثِ الايام ، الا كما هيه . [2]

فاقسمت : لا ينفكّ دمعي ، وعولتي
عليك بحزنٍ ، ما دعا اللهَ داعيه .

ولها ايضًا في رثائه

يا عينِ ، جودي بالدمو عِ المستهلات السواجمْ ، [3]
٤٥ فيضاً ، كما انخرق الجما نُ وجال في سلك النواظم ؛
وابكي معاويـة الفـتى وابن الحضارمة القَماقِم ، [4]
والحـازمَ البـاني العُـلى في الشاهقات من الدعائم .
تلقى الجزيل عطاؤه ، عند الحقائق ، غير نادم ؛ [5]
اسقى الاله ضريحه من صوب دائمة الرهائم . [6]

---

١) السعالي : ج. سعلاة : انثى الغول او الجنّ . زبانية : ج. زبنية : متمرّد الجنّ والانس . الموكّل بتعذيب الهالكين في الجحيم.
٢) تِعار : جبل بطرف حرّة بني سُلَيم ، بين حزرة وأبلى . تُرى : الضمير لتعار .
٣) السواجم : ج. ساجم بمعنى مسجوم : منصبّ .
٤) الحضارمة : ج. خِضرم : السيد الكريم . ومثله القاقم : ج. قَمقام .
٥) الحقائق : ج. حقيقة : ما يحق من الواجبات .
٦) الرهائم : ج. رِهَم ورِهام : ج. رِهمة : المطرة الليّنة .

رثاء وتحريض

قالت ، بعد مقتل معاوية ، تُحرّض بني سُليم وبني عامر على غطفان :

٥٠ لا شيء يبقى غير وجه مليكنا ،
ولست ارى حياً ، على الدهر ، خالدا !

الا ان يوم ابن الشريد ورهطه اباد جفاناً والقدورَ الرواكدا .[1]

هم يملأونَ لليتيم اناءه ، وهم ينجزون للخليل المواعدا .

الا ابلغا عني سُليماً وعامراً
ومن كان من حيَّي هوازنَ شاهدا :

بان بني ذُبيان قد ارصدوا لكم ، اذا ما تلاقيتم، بان لا تَعاوُدا ؛[2]

٥٥ فلا يقربنَّ الارض الا مسارقٌ
يخاف خميساً مطلعَ الشمس خاردا ،[3]

على كل جرداء النُسالةِ ضامرٍ
بآخر ليل ، ما ضُفِزْنَ الحدائدا .[4]

---

١) يوم : اي يوم قُتلوا . ابن الشريد : معاوية . الجفان : ج. الجَفنة : القصعة . الرواكد : ج. الراكدة : الساكنة ، الثابتة — اي مات معاوية فذهبت الجفان والقدور التي كان يقري فيها .

٢) تحرّضهم بقولها ان الاعداء ، اي بني ذبيان ، على استعداد ، وانهم لا يعاودون القتال ، اذا ما التقيتم به مرة اولى . قد ارصدوا لكم : وفي رواية : قد عرفوا لكم .

٣) المسارق : المستخفي . خارد : قاصد .

٤) النُسالة : الشعر المنسول . ضفزن الحدائد : من ضَفَز الفرسَ : ادخل في فمه اللجام . ارادت انهم يلجمون خيولهم من آخر الليل للغارة .

فقد زاح عنّا اللومَ ان تركوا لنا
أُرَيْمًا ، فآراماً ، فما آب واردا ؛ [1]

ونحن قتلنا مالكاً وابن اخته ،
ولا صلح حتى نستفيد الخرائدا ؛ [2]

فقد جرت العادات أنّا ، لدى الوغى
سنظفر ، والانسان يبغي الفوائد .

---

١) أُريم وآرام : جبلان من ارض بني سُليم . وارد : جبل صغير في وسط رمل بني سُليم . وما آبه : اي ما واجهه من الارض والسكّان ، او ما اقبل من البلاد اليه وجاوره . وفي رواية : وماء بِواردا ؛ وفي اخرى : وماء بَواردا .

٢) مالك : مالك بن الحرث سيّد بني فزارة وشيخهم الذي قتله خفاف بن ندبة ، يوم قتل معاوية . ابن اخته : دريد بن حرملة الذي قتله صخر (راجع المقدمة ص : يج) . الخرائد : جـ . الخريدة : الجارية البكر .



القسم الثاني

رثاء صخر

اكثر شعر الخنساء وارقّه في رثاء اخيها صخر المتوفّى من تأثير جراحه حوالي السنة ٦١٥ ، بعد معاوية بثلاث سنوات (راجع المقدمة ص : يه).

٦٠ قذىً بعينكِ ، ام بالعين عُوّارُ ،
ام ذرّفت ، اذ خلت من اهلها الدارُ؟ [1]

كأن دمعي لذكراه ، اذا خطرت ،
فيضٌ يسيل على الخدّين ، مِدرارُ ! [2]

تبكي لصخرٍ، هي العَبرى ، وقد ولهت،
ودونه من جديد التربِ أستار . [3]

تبكي خُناسٌ ، فما تنفكّ ، ما عَمَرت،
لها عليه رنينٌ ، وهي مِفتار ! [4]

تبكي خُناسٌ على صخرٍ ، وحقّ لها،
اذ رابها الدهرُ ؛ ان الدهرَ ضرّار !

---

١) العُوّار : والعائر : وجع في العين مثل الرمد — قذى بعينك : في شرح الديوان (طبعة شيخو) .ما هاج حزنكِ .
٢) كأنّ دمعي : وفي رواية : كأن عيني .
٣) العَبرى : التي لا تجفّ عينها من الدموع .
٤) المِفتار : التي اصابها فترة اي ضعف وانكسار .

٦٥ لا بدَّ من ميتةٍ في صرفها غِيَرٌ ؛
والدهر في صرفه حَولٌ واطوارُ [١]

قد كان فيكم ابو عمرو يسودُكُمُ ؛
نِعمَ المُعَمَّمُ ، للداعين نصّارُ ! [٢]

صلبُ النحيزة ، وهّابٌ ، اذا منعوا ؛
وفي الحروب جريءُ الصدر ، مهصار. [٣]

يا صخرُ ، ورّادَ ماءٍ قد تناذَرَه
اهلُ الموارد ، ما في وِردِه عارُ ، [٤]

مشى السبنتى الى هيجاءَ مُعضلةٍ ، له سلاحان : انيابٌ واظفار. [٥]

٧٠ وما عَجولٌ على بَوٍّ تُطيف به ؛
لها حنينان : إصغارٌ وإكبار ، [٦]

---

١) غِيَر : وفي رواية : عِبَر . حَول واطوار : اي يتقلّب باهله فيكون طورًا كذا وطورًا كذا .

٢) ابو عمرو : كنية صخر . المعمّم : المسوَّد ، من عُمِّمَ الامرَ : قُلِّدَه .

٣) النحيزة : الطبيعة . مهصار : مبالغة من هصر العنق : دقّها .

٤) ورّاد ماء : ارادت إقدامه على الموت . تناذَره : انذر بعضهم بعضًا هوله وصعوبته . ما في ورده عارُ : اي ليس يعيّر احد ان عجز عنه من صعوبة ورده — المعنى : شربت كأس المنيّة في وقت يخافها غيرك فيأباها ، وليس في احجامهم عنها من عار .

٥) السبنتى : في الاصل النمر ، الجريء ، الصدر .

٦) العَجول : التي يموت ولدها وهو صغير . البَوّ : ولد الناقة يؤخذ جلده ، اذا هلك ، فيُحشى ، ويُدنى من أمه ، فترأمه وتدرّ عليه . الاصغار : الحنين بصوت منخفض . الاكبار : بصوت عالٍ . وفي رواية : إعلانٌ وإسرارٌ .

ترتعُ ما رتعت ، حتى اذا ادّكرت ،
فانمــا هي إقبــالٌ وادبارُ ، [١]
لا تسمن الدهرَ في ارض ، وان رُبعت ،
فانمــا هي تحنــانٌ وتسجار ، [٢]
يومــاً ، بأوجدَ مني ، يومَ فــارقني
صخرٌ ؛ وللدهر إحلاءٌ وإمرار ! [٣]
وان صخرًا لوالينا وسيّدنا ! وان صخرًا ، اذا نشتو ، لنحّار !
٧٥ وان صخرًا لمقدام ، اذا ركبوا ،
وان صخرًا ، اذا جاعوا ، لعقّار !
وان صخرًا لتأتمُّ الهداة به ، كأنه علمٌ في رأسه نار ! [٤]
جلدٌ ، جميل المحيّا ، كاملٌ ، ورعٌ ؛
وللحروب ، غداةَ الروع ، مسعار ، [٥]
حمّال ألويــةٍ ، هبّاط اودية ،
شهّاد انديــةٍ ، للجيش جرّار !

---

١) ترتع ما رتعت : في رواية : ترتع ما غفلت . وفي اخرى : ترتاح في غفلةٍ .
٢) رُبعت : اصابها مطر الربيــع . وفي رواية : رتعت . التسجار : الحنين الممتدّ المستطيل .
٣) البيت جواب قولهــا : وما عجولٌ . أوجد : في رواية : اوجع . وفي غيرها : اجزع .
٤) وان صخرًا . . . : وفي رواية : اغرُّ ابلج تأتمُّ . . . الهداة : الادلاّء الذين يُهتدى بهم في الامور المختلفة ؛ اي هو دليل الادلاّء . العلم : الجبل . والشطر مثل في الشهرة .
٥) مِسعار : موقد نار الحرب .

فقلت ، لما رأيت الدهرَ ليس له
معاتبٌ ، وحده يُسدي ونيّارُ : [١]

٨٠ لقد نعى ابن نَهيكٍ لي اخا ثقةٍ
كانت تُرَجَّم عنه قبل اخبار ؛ [٢]

فبتُّ ساهرةً للنجم ارقُبُه ،
حتى اتى دون غورِ النجمِ استار . [٣]

لم تراهُ جارةٌ يمشي بساحتها لريبةٍ ، حين يُخلي بيتَه الجار ؛
ولا تراه ، وما في البيت ، يأكله ؛ لكنه بارزٌ بالصحن ، مهار ، [٤]

ومطعم القوم شحماً عند مسغبهم ،
وفي الجدوب ، كريمُ الجَدِّ ، ميسار ! [٥]

٨٥ قد كان خالصتي من كل ذي نسبٍ ؛
فقد أُصيب ؛ فما للعيش اوطار ! [٦]

مثل الرديني لم تنفدْ شبيبتُه ،
كأنه ، تحت طيِّ البُردِ ، أسوار ! [٧]

---

١) يُسدي : من اسدى الثوب : اقام سداه اي ما مُدَّ من خيوطه ، خلاف نَيَّر الثوب : جعل له النيرَ اي اللحمة . استعارت ذلك للقول ان الدهر وحده ينقض الامور ويبرمها .

٢) ابن نهيك : احد بني سُليم . ترجَّم : تُذكر على سبيل الظن والتخمين .

٣) غور النجم : سقوطه . الاستار : الظلمات .

٤) مهار : مكثار ، يكثر للاضياف من القرى .

٥) المسغب : المجاعة . كريم الجَدّ : كريم العطاء .

٦) خالصتي : اي الذي اخترته لنفسي وخلص لي وده .

٧) كأنه . . . : لهيفه ولطافة بدنه .

جهمُ المحيَّا ، تُضيء الليلَ صورتُه ؛
آباؤه من طوال السَّمكِ ، احرارُ ؛ [١]
مورّث المجد ، ميمونٌ نقيبته ،
ضخم الدسيعة ، في العزّاء مغوارُ ، [٢]
فرعٌ لفرعٍ كريمٍ غير مؤتشبٍ ،
جَلدُ المريرة ، عند الجمع فخّار ؛ [٣]
١٠ في جوف لحدٍ مقيمٌ ، قد تضمّنه
في رمسه مُقمطرّاتٌ واحجار ؛ [٤]
طلق اليدين لفعل الخير ، ذو فجَرٍ ،
ضخم الدسيعة ، بالخيرات امّار ! [٥]
ليبكِه مقترٌ افنى حريبَتَه دهرٌ ، وحالفه بؤسٌ وإقتار ، [٦]
ورفقــةٌ حار هاديهم بمهلكــةٍ
كأن ظُلمتها ، في الطُخيَة ، القارُ . [٧]

---

١) جهم المحيا : كالح الوجه ، في لقاء الاعداء . السَّمك : القامة .

٢) ميمون النقيبة : محمود الطبيعة ، حسن المختبر . الدسيعة : العطية . العزّاء : الشدّة .

٣) الفرع : الرأس ، سيّد القوم . المؤتشب : المخلوط الحسب . الجلد : الحازم . المَريرة : ابرام الرأي .

٤) المقمطرّات : الصخور الصِلاب الشِداد .

٥) ذو فجر : يتفجّر بالمعروف .

٦) الحريبة : ما يتعيّش به الانسان من المال .

٧) الطُخية : من الطَخاء : الغيم الرقيق الذي يواري النجوم فيحار الهادي في سبيله .

لا يمنع القوم ، ان سالوه ، خِلعته ،

ولا يجـــاوزه باللّيـــل مُرّارُ . [١]

يذكّرني طلوع الشمس...

ولها فيه ، وهو من محاسن شعرها . وقيل هي آخر قصيدة قالتها :

٩٥ يؤرّقني التذكّر حين أُمسي ، فاصبح قد بُليت بفرط نُكسِ [٢]

على صخرٍ ، وايّ فتى كصخرٍ ليوم كريهةٍ وطعان خَلسِ ؟ [٣]

وللخصم الالدّ ، اذا تعدّى ، ليأخذَ حقّ مظلومٍ بقِنس ؟ [٤]

فلم ارَ مثله رُزْءا لجنٍّ ، ولم ارَ مثله رُزْءا لإنس ! [٥]

اشدّ على صروف الدهر ايدًا ، وافصل في الخطوب ، بغير لَبس ! [٦]

١٠٠ وضيفٍ طارقٍ او مستجيرٍ يروّع قلبه من كل جرْس ، [٧]

فاكرمه ، وآمنه ، فامسى خليا باله من كل بؤس .

---

١) الخُلعة : الثوب المُعطى . الخِلعة : خيار المال . ولا يجاوزه . . . : اي لا يمرّ به ضيف ، في الليل ، الّا انزله في بيته .

٢) فاصبح . . . : في رواية : فيردعني مع الاحزان نُكسي .

٣) طعان خلس : اي مخالسة .

٤) القِنس : اعلى الرأس .

٥) فلم أرَ مثله : في روايــة : فلم اسمع به . — المعنى : لم اسمع للجن مصيبة ، ولا للانس ، اعظم من مصيبتي هذه .

٦) الايد : القوّة افصل : احكم . بغير لَبْس : بغير اختلاف .

٧) الجَرس : الصوت الضعيف .

يذكّرني طلوعُ الشمس صخرًا ، واذكره لكل غروب شمسِ ، [1]
ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم ، لقتلت نفسي !
ولكن لا ازال ارى عَجولاً ، وباكيةً تنوح ليوم نحس ، [2]
١٠٥ اراها والهاً تبكي اخاها عشيّة رُزئه ، او غِبَّ امس ؛
وما يبكين مثل اخي ؛ ولكن اعزّي النفس عنه بالتأسّي . [3]
فلا ، والله ، لا انساك حتى افارقَ مُهجتي ويُشقّ رمسي .
فقد ودّعت ، يومَ فراق صخرٍ ، ابي حسّان ، لذّاتي وأُنسي .
فيا لهفي عليه ، ولهفَ أُمي ! أيُصبح في الضريح ، وفيه يُمسي !

ولها في المعنى نفسه

١١٠ يا عينِ ، ما لكِ لا تبكين تسكابا !

اذ راب دهرٌ ، وكان الدهر ريّابا ! [4]

---

١) قال الحموي في « خزانة الادب » (ص: ٢٥٩) والنابلسي في « نفحات الازهار » (ص: ٢٥٧) : « قد خصّت الخنساء هذين الوقتين بالذكر ، وان كانت تذكر اخاها كل وقت ، لما في هذين الوقتين من النُكتة المتضمّنة للمبالغة في وصفه بالشجاعة والكرم ، لان طلوع الشمس وقت الغارات على العدى ، وغروبها وقت النيران للقرى . »

٢) العَجول : الثكلى ، الفاقدة ولدها صغيرًا .

٣) يبكين : وفي رواية : يبكون : اي الرجال والنساء . التأسّي : قال المبرّد : « التأسّي ان يرى ذو البلاء من به مثل بلائه فيكون قد ساواه فيه ، فيسكّن ذلك من وجده . »

٤) راب الدهر : تغيّر الى الشرّ .

فابكي اخاكِ لايتامٍ وارملةٍ !
وابكي اخاكِ ، اذا جاورت اجنابا ! [١]
وابكي اخاكِ لخيلٍ كالقطا عُصبٍ
فقدنَ ، لما ثوى ، سيباً وأنهابا ! [٢]
يعدو به سابحٌ ، نهدٌ مراكله ،
مجلببٌ من سواد الليل جلبابا ؛ [٣]
حتى يصبّحَ قوماً في ديارهم
او يُسلِموا ، دون صفّ القوم ، اسلابا . [٤]
١١٥ هو الفتى الكامل ، الحامي حقيقته ،
مأوى الضريك ، اذا ما جاء منتابا ؛ [٥]
يهدي الرعيلَ ، اذا جار الدليل بهم ،
قصدَ السبيل ؛ لصعب الامر ركّابا ؛ [٦]

---

١) الأجناب : ج. الجُنُب : الغريب.

٢) عُصب : جماعات ؛ وفي رواية : عصباً ؛ فتكون حالاً للقطا . السيب : العطاء . الانهاب : ج. نهب : الغنيمة .

٣) النهد : الضخم . المراكل : موضع عقب الفارس من جنب الفرس . الجلباب : الرداء ، الثوب الواسع .

٤) صبّحَ القومَ : غزاهم في الصباح . او يُسلموا : في رواية : او يُسلَبوا ، وفي أُخرى : ويحتوي دون دار القوم اسلابا

٥) حامي الحقيقة : اي يحمي ما يحقّ ، ما يجب على الانسان ان يحميه . الضريك : الفقير السيء الحال ، الزَمِن .

٦) الرعيل : القطيع من الخيل ، والطير ، والناس وهو المقصود . جار الدليل : في رواية : حار السبيل ؛ وفي اخرى : ضاق السبيل . لصعب الامر : في رواية : لزُرق السمر .

المجد حلّته ، والجود علّته ،
والصدق حوزته ، ان قِرنه هابا ؛ (١)
خطّاب محفِلةٍ ، فرّاج مَظلمةٍ ،
ان هاب مُعضلةً ، أتّى لها بابا ؛ (٢)
حمّال الويةٍ ، قطّاع اوديةٍ ، شهّاد أنجيةٍ ، للوتر طلّابا ؛ (٣)
١٢٠ سمُّ العُداة ، وفكّاك العُناة ، اذا
لاقى الوغى ، لم يكن للموت هيّابا . (٤)

ولها ايضاً

تقول نساءٌ : « شِبتِ من غير كبرةٍ ! »
وأيسر مما قد لقيتُ يُشيبُ !
اقول : ابا حسّان ، لا العيش طيّبٌ ؛
وكيف ، وقد أُفردت عنك ، يطيب ؟
فتى السنّ ، كهلُ الحلم ، لا متسرّعٌ ،
ولا جامدٌ جعد اليدين جديب ، (٥)

---

١) المجد حلّته : في رواية : فالحمد خلّته . الجود علّته : يُقال : علّته الجود ، اي ليس له علّة ؛ اذا سُئل لا يعتلّ ، بل يبذل . الحوزة : الناحية .
٢) محفِلة : في رواية : مَفصَلة . مُعضِلة : في رواية : مُعظمة . أتّى : هيّأ ، قدّر ، دبّر . وفي رواية : سنّى .
٣) الانجية : المجالس . ج . النجيّ : القوم يتناجون ، اي يبحثون في امر . الوتر : الثأر .
٤) سُمّ العداة : اي انه يقتل اعداءه . العُناة : ج . عانٍ : اسير .
٥) الجامد والجديب : البخيل . جَعد اليدين : متقبّضها ، اي ممسك .

اخو الفضل لا باغٍ عليـه بفضله ،
ولا هو خَرقٌ ، في الوجوه قَطوبُ ؛ [١]

١٢٥ اذا ذكر الناسُ السماحَ من امرىءٍ ،
واكرمَ ، او قال الصواب خطيب ،

ذكرتك ، فاستعبرتُ ، والصدر كاظمٌ
على غَصّةٍ منها الفؤادُ يذوب . [٢]

لعمري ، لقد اوهيت قلبي عن العزا ،
وطأطأت رأسي ، والفؤاد كئيب !

لقـد قُصمت مني قنـاةٌ صليبةٌ ،
ويُقصم عود النَبع ، وهو صليب ! [٣]

ومن مراثيها الشهيرة

في ترتيب ابيات هذه القصيدة اختلاف بين الرواة ، فتبعنا ما رأيناه اقرب الى المعقول :

يا عـينِ ، جودي بالدمو ع المستهلّات السوافحْ ، [٤]
١٣٠ فيضاً كما فاض الغرو ب المُترعاتُ من النواضح . [٥]

---

١) الخَرق : الشظف الطباع . القَطوب : الكالح الوجه .
٢) الصدر كاظم : اي متجمّل ، مظهر الصبر على ما به من الكآبة .
٣) قُصمت قنـاتها : اي تحطّمت قواها . النَبع : شجر صلب ، تُتخذ منه القسيّ .
٤) السوافح : من سفح دمعه : هراقَه ، اساله .
٥) الغُروب : جـ . غَرْب : دلو من جلد الثور . النواضح : جـ . ناضح : الدلو العظيمة ، الناقة التي تحمل الادلاء من البئر .

ان البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح .

فابكي لصخر ، اذ ثوى بين الضريحة والصفائح ، [١]

أمسى لدى جدث تُذيـ ـعُ بتُربه هوجٌ نوافح ، [٢]

السيّد الجحجاح ، وابن م السادة الشُمّ الجحاجح ، [٣]

١٣٠ الحامل الثِقْل المهمّ م من الملمّات الفوادح ، [٤]

الجابر العظم الكسيـ ـرَ من المصاهر والمُمانح [٥]

الواهب الشـقَ الهجا ن من الخناذيذ السوابح ، [٦]

الغافرُ الذنبَ العظيـ ـمَ لذي القرابة والممالح ،

بتعمّدٍ منه وحلـ ـم ، حين يبتغي الحلم راجح .

١٤٠ ذاك الذي كنّا به نشفي المريض من الجوائح . [٧]

---

١) الضريحة ، والضريح : الشقّ وسط القبر . الصفائح : ج. صفيحة : الحجر العريض .

٢) تذيع بتربه : تنسفه . الهوج من الرياح : الشديدة الهبوب . نوافح : من النفح : شدّة البرد .

٣) الجحجاح : العظيم الفعال .

٤) الفوادح : ج. الفادحة : الثقيلة .

٥) الكسير : وفي رواية : المَهيض . المُمانح : المُخالط .

٦) الهجان : الكرام . الخناذيذ : الطوال . وفي رواية :

الواهب العيس العتا قَ مع الخناذيذ السوابحْ .

٧) الجوائح : ج. جائحة : النازلة التي تجتاح الناس ، او المال .

وتردّ بادرة العـدوّ م ونخوةَ الشنِف المكاشحْ [1]

فاصابنـا ريب الزما ن ، فنالنا منه بناطح:

اذ غاب مِدْرَهُنا ، وأُسـ لمنا لايامٍ كوافحْ ، [2]

وتعذَّرت أُفق البـلا د، فما بها وَشَلٌ لمانحْ ، [3]

١٤٥ تذري السوافي على السوا م ,واجدبت سُبلُ المسارح؛ [4]

فكأنما أمَّ الزمـا نُ نحورَنا بمُدى الذبائح ، [5]

فنساؤنا يندبن بحّا ، م بعد هـادئة النوائح ، [6]

شُعثاً ، شواحب ، لا ينيـ نَ اذا ونى ليل النوابح ، [7]

---

١) بادرة العدوّ : سوابق شرّه . الشنِف : المغتاظ ، الغضبان . المكاشح : المبغض .

٢) المِدره : الرجل الشديد في القـوم يدفع عنهم العدوّ بيده ولسانه . الكوافح : الشداد .

٣) تعذّرت : اعيت ، قـلّ بها الماء والخير . أُفق البلاد : نواحيها . الوشل : الماء القليل .

٤) تذري : تنسف ، والمفعول به محذوف تقديره : التراب . السوافي : ج . السافية : الريح . السوام : المال . المسارح : ج . مسرح : الفلاة ترتع فيها الماشية والناس . وفي الشطر الاول اقتضاب .

٥) أمّ : قصد . مُدى : ج . مُدية : شفرة .

٦) بحّاً : بصوت خافت ، بعد ان بُحّت اصواتهنّ لكثرة ما ندبن . هادئة : ساكنة . اي بعد ان نامت النوائح .

٧) شعث : مغبّرات الرؤوس ، منتشرات الشعر . شواحب : هـازلات . لا ينين . . . : لا يفترن اذا فترت النوابح .

يحنِنَّ ، بعد كرى العيو ن ، حنينَ والهةٍ قوامحْ ، [1]
١٥٠ ايندبن فقدَ اخي الندى، والخيرِ، والشيم الصوالح ،
والجودِ ، والايدي الطوا لِ المستفيضات السوامح ،
والاخـذِ بالحمد الثميـ ن ، مآخذَ الحسبِ الصرائح . [2]
فالآن نحـن ومن سوا نا مثلُ اسنان القوارح . [3]

ولها في رثائه

أعينيَّ ، جـودا ولا تجمُدا ! الا تبكيان لصخر الندى ؟
١٥٥ الا تبكيان الجريْ الجميلَ ؟
الا تبكيان الفتى السيّدا ؟ [4]
طويلَ النجاد ، رفيع العمـا د ، ساد عشيرته امردا [5]
اذا القـوم مـدّوا بايديهم الى المجد ، مدَّ اليه يدا ؛
فنال الذي فوق ايديهم من المجد ، ثم مضى مصعدا .

---

١) الوالهة : الثوق الحزينة لفقد اولادها . القوامح : التي ترفع رؤوسها عن الحوض ولا تشرب .

٢) الصرائح : الخالصة .

٣) القوارح : ج . القارح والقارحة : الدابة ذات الحافر ، اذا طلع نابها . وهو مثل في التساوي بالشر والخير . تقول : كان لنا فضلٌ على الناس ، فلما مات صخر استوينا ولا فضل لنا على احد .

٤) الجميل : وفي رواية : الجميع ؛ وفي اخرى : الجواد .

٥) النجاد : حمائل السيف ؛ ارادت طول قامته . رفيع العماد : عماد البيت ، اي بيته بيت رجل شريف موسم مضياف .

يكلّفه القوم ما عالهم ، وان كان اصغرهم مولدا ؛ [1]

١٦٠ ترى المجد يهوي الى بيته ، يرى افضل الكسب ان يُحمدا ؛ [2]

وان ذُكر المجد ، الفيته تأزّر بالمجد ثم ارتدى ا

غياث العشيرة ، ان امحلوا ، يُهينُ التلاد ، ويُحيي الجدا ! [3]

ومن منتخبات شعرها في رثائه

بكت عيني ، وعاودها قذاها بعُوّار ، فما تقضي كراها ! [4]

على صخرٍ ، وايّ فتى كصخرٍ ،

اذا ما الناب لم ترأمْ طلاها ؟ [5]

١٦٥ حلفت بربّ صُهبٍ مُعمَلاتٍ

الى البيت المحرّم منتهاها : [6]

لئن جزعت بنو عمرو عليه ، لقد رُزئت بنو عمرو فتاها !

---

١) عالهم : نابهم وثقل عليهم .

٢) ترى المجد ..... : في رواية : جموع الضيوف الى بابه .

٣) التلاد : المال الموروث . يهينه : اي يعطيه ويبذله . – المعنى : يبذل امواله ، ويحيي ما يجدي عليه الثناء والذكر الجميل .

٤) بكت : في رواية : ابت : اي ابت ان تنام .

٥) الناب : الناقة المسنّة . لم ترأم : لم تعطف ، لم تحنُ . الطَلا : الولد ، اي اذا الناقة لم تعطف على ولدها من الجدب وشدّة الزمان .

٦) الصُهب : ج . أصهب وصهباء : الذي خالط بياضه حُمرة . مُعمَلات : تُعمل في السير .

فتى الفتيــان ما بلغوا مــداه ؛
ولا يُكدي ، اذا بلغت كُداها ؛ [١]
له كفٌ يشدُ بها ، وكفٌ تجود ، فما يجفُ ثرى نداها .
فمن للضيف ، ان هبّت شَمالٌ مزعزعةٌ تناوحها صَباها ، [٢]
١٧٠ وألجأ بردُها الاشوالَ حُدباً
الى الحجَرات باديةٌ كُلاها ؟ [٣]
هنالك ، ان نزلت ببيت صخرٍ ،
قَرى الاضيافَ شحماً من ذُراها . [٤]
أحاميَكم ورافدَكم تركتمُ
لدى غبراء منهدمٍ رجاهـا ؟ [٥]

---

١) لا يُكدي : لا ينقطع ما عنده ؛ يقال : حفر فأكدى : اذا بلغ الى موضع صلب ، فوقف دونه . المعنى : اذا بلغت الرجال كُداها ، اي اذا اعطوا ثم اعتلّوا وتوقفوا عن العطاء ، فان صخراً لا يتوقف .

٢) المزعزعة : المحرّكة لاطناب البيوت ، التي تزعزع الشجر . تناوحها : تقابلها ، تواجهها . الصَبا : الريح الشرقية .

٣) الاشوال : الابل التي ارتفعت البانها . حُدباً : متقوّسة الظهور من الضرّ . بادية كُلاها : اي لشدة الهزال ، يبدو موقع كُليتي البعير من خاصرتيه .

٤) الذرى : ج. ذُروة : اعلى كل شيء . ارادت بها سنام الابل .

٥) احاميكم ورافدكم : في رواية : أُطعمكم وحاملكم . الرجا : جانب القبر .

ترى الشمَّ القَطارفَ من سُليمٍ يبلُّ ندى مدامعها لِحاها [1]
على رجلٍ كريم الخِيم اضحى ببطن حفيرةٍ صخِبٍ صَداها . [2]
١٧٥ ليبكِ الخيرَ صخراً ، من معدٍّ ،
ذوو احـلامها وذوو نُهاهـا ! [3]
وخيلٍ قد دلفتَ لها بخيلٍ ، فدارت بين كبشَيها رحاها ؛ [4]
تـكفكف فضلَ سابغـةٍ دِلاصٍ
على خيفانـةٍ خَفِقٍ حشاهـا ؛ [5]
وتسعى ، حين تشتجر العوالي غداة الروع، ساعةَ مصطلاها ،
محافظةً ومحميةً ، اذا مـا نبا بالقوم من جزعٍ لظاها ،
١٨٠ فتتركها قد اضطرمت بطعنٍ
تضمَّنه ، اذا سعرت ، كُلاها . [6]

---

١) الشُّمّ : ج . الاشمّ : الذي ارتفعت قصبة انفه في استواء . القطارف : ج . القِطريف : السيِّد .

٢) الخِيم : الطبيعة والخُلق . صخِبٍ صداهـا : اي يُسمع لصداهـا صوت شديد . الصَدى : الهامة او البوم . كانت العرب تعتقد ان هذا الطائر يخرج من رأس الميت ، ولا يزال يصيح : « اسقوني ! اسقوني ! » حتى يؤخذ بثأره . تقول : ان هذا الطائر لا يزال شديد الصخب ، تريد بذلك ان تهيج قومها الى الطلب بثأر صخرٍ .

٣) الخيرَ صخراً : يقال رجل خير : اي ذو فضل .

٤) دَلفت : زحفت . كبشها : رئيسها .

٥) تُـكفكف : تردّ بالنِطاق . الفضل : الذيل . السابغة : الدرع الطويلة . الدِلاص : الليِّنة . الخيفانة : الجرادة ، ارادت بها الفرس الضامرة .

٦) تضمَّنه كلاها : اي اذا استعرت هذه الحرب تجعل طعنك يقع في الكُلى فتضمَّنه .

لبيكِ عليكِ قومُك للمعالي ، والهيجاء ، إنك ما فتاها ! [1]
وقد فقدتك طلقةُ ، فاستراحت ، فليت الخيلَ فارسُها يراها ! [2]

رثاء وتحريض

قالت ترثي اخاها صخرًا وتحرّض قومها على الطلب بثأره . وفي الروايات اختلاف في ترتيب هـذه الابيات ، فتبعنا فيها ما تبعناه في غيرها من المعنى العـام، ورتبناها حسب هذا المعنى :

يا عينِ ، فيضي بدمعٍ منك مغزارِ
وابكي لصخرٍ بدمعٍ منك مدرارِ ! [3]
اني ارقت ، فبتّ الليلَ ساهرةً كأنما كُحلت عيني بعوّار !
١٨٥ ارعى النجوم، وما كُلفت رعيتَها،
وتارةً اتغشّى فضلَ اطـمار . [4]
وقد سمعت ، فلم ابهج به ، خبرًا
محدّثًا قامَ يَنمي رَجعَ اخبار ، [5]
قال : « ابن امكِ ثاوٍ بالضريح ، وقد
سوّوا عليـه بالواحٍ واحجار ! »

---

١) انك ما فتاها : ما زائدة . في رواية : انك ما عناها .

٢) طَلْقَة : اسم فرس صخر . — هذا ، وفي رواية الابيات اختلافات عديدة في الترتيب وبعض الالفاظ ، فاخترنا ما رأيناه موافقًا للمعنى العام .

٣) في رواية : بدمعٍ فيضُه جارِ .

٤) اتغشّى فضل اطـمار : البس خلق الثياب ، اشارة الى انها لا تلبس جديدًا بعد مقتل صخر .

٥) ينمي : يُظهر خبرًا بعد خبر من اخبار جاء بها . رجع اخبار : اي تلك اخبار عن مقتل صخر كنت عرفتها ، فاقبل يردّدها .

فاذهبْ ، فلا يُبعدَنكَ الله من رجلٍ

مناعُ ضيمٍ ، وطلّابٍ باوتارِ ،[1]

قد كنتَ تحملُ قلباً غير مهتضَمٍ

مركَّباً في نِصابٍ غير خوّارِ ؛[2]

١٩٠ مثلُ السنان تَضيءُ الليلَ صورتُه،

جلدُ المريرة ، حرٌّ وابن احرار .[3]

ابكي فتى الحيِّ نالته منيَّتُه ، وكل نفسٍ الى وقتٍ بمقدار !

وسوف ابكيك ، ما ناحت مطوَّقةٌ ،

وما اضاءت نجوم الليل للساري !

ولن أسالمَ قوماً كنت حربَهم

حتى تعودَ بياضاً جوْنة القار ،[4]

أبلغ خُفافاً وعوفاً ، ان لقيتهم ،

عَميمةً من نداءٍ غير إسرار ،[5]

---

١) تخاطب اخاها صخراً .

٢) غير مُهتضم : غير مستضعف ولا مظلوم . النِصاب : الاصل . غير خوّار : غير ضعيف .

٣) جَلْد المَريرة : حازم في رأيه ، ماضٍ فيه اذا ابرمه .

٤) الجُوْنة : والجَوْن : السواد .

٥) خُفاف وعوف : بطنان من بني سُليم ، وكانت الخنساء خُفافية . العميمة : الرسالة الطويلة التي تعمّهم جميعاً .

١٩٥ اعني الذين اليهم كان منزله :

هل تعرفون ذمام الضيف والجار ؟[1]

شدّوا المآزر حتى يستذفّ لكم، وشمّروا ، إنها ايام تشمار ![2]

وابكوا فتى الحيّ ، وافته منيّته في يوم نائبةٍ حمّت باقدار .[3]

كأنهم يومَ راموه باجمُعهم ،

راموا الشكيمةَ من ذي لِبدةٍ ضار ،[4]

حامي العرين لدى الهيجاء ، مضطلع ،

يفري الرجال بانيابٍ واظفار ،

٢٠٠ بفيلق الخيل تنزو في اعنّتها ،

مثلَ الاسود توافت عند جرْجار ،[5]

والحربُ قد ركبت جرباءَ باقرةً

حلّت على طبقٍ من ظهرها عار ؛[6]

---

١) اليهم: اي معهم ، ومثله القول: « من انصاري الى الله » ، اي مع الله .

٢) يستذفّ لكم : اي يتهيّأ لكم امركم .

٣) فتى الحي : في رواية : فتى البأس . حُمّت : حانت ، دنت . وفي رواية : « في يوم نائبةٍ نابت واقدارِ » .

٤) الشكيمة : الشدّة ، البأس ، الغضب . ذو اللبدة : الاسد . — اي تجمهروا عليه كلهم كتجمهرهم على أسد ضارٍ شديد البأس .

٥) تنزو : تثب . الجرْجار : نبت طيب الرائحة ، الابل الشديدة الصوت ، ولعلّه المقصود .

٦) جرباء : شديدة ، كثيرة البلايا ، من الناقة الجرباء التي تعدي غيرها . باقرة : تبقر كل ما مرّت به اي تشقه وتهلكه . ارادت : ان قادة الحرب ركبوا مركب سوء . طبق : ارادت به سطح الارض . — وفي رواية : ركبت حدباء نافرة .

حتى تفرّقت الابطال عن رجلٍ ملحَّب غادروه ، غير محيارِ ،[1]

تجيش منه ، فويقَ الثديِ، نافذةٌ بزبدٍ من نجيع الجوف فوّار ،[2]

تجلّلته رماح القوم عن عُرُضٍ في جارة الموت ، مطلوباً بأوتار .[3]

٢٠٥ كان ابنَ عمكم منكم ، وضيفَكم

فيكم ، فلم تدفعوا عنه بإخفار ؟[4]

لو منكم كان فينا ، لم يُنل ابداً ، حتى تلاقى امورٌ ذاتُ آثار .[5]

لا نومَ حتى تقودوا الخيل عابسةً ينبذن طرحاً بمُهراتٍ وأمهار ،

او تحفزوا حفزةً ، والموت مكتنِعٌ ،

عند البيوت ، حصيناً وابن سيّار .[6]

الخنساء والحمامة

— سمعت حمامة تسجع نائحة ، فتذكرت شجوها ، فقالت :

---

١) الرجل : هو صخر المقتول . ملحّب : مقطّع . غير محيار : لا يتحيّر في البلاد . وقد ورد الشطر الثاني في عدة روايات : « ماضٍ على الهول هادٍ غير محيارِ » .

٢) نافذة : صفة للطعنة المحذوفة .

٣) عن عُرُض : في رواية : عن قُتُر ، اي عن ناحية . جارة الموت : وسطه .

٤) الإخفار : الخذلان .

٥) تلاقى : تتلاقى : تتتابع . ذات آثار : ذات عواقب ، اي تكون فيهم آثار من قتل وطعن وما شاكل .

٦) تحفزوا : تطعنوا . مكتنع : دانٍ ، والجملة حالية . حصين : هو حصين ابن حُمام المرّي . ابن سيّار : هو منصور بن سيّار الفزاري .

تذكّرت صخرًا ، اذ تغنّت حمامةٌ
هتوفٌ ، على غصنٍ من الايكِ تسجعُ ، [1]

٢١٠ فظلّتُ لها ابكي بدمع حزينةٍ ،
وقلبي مما ذكّرتني موجَعُ . [2]

تذكّرني صخرًا ، وقد حال دونه
صفيحٌ ، واحجارٌ ، وبيداء بلقع .

فبكّي بعينٍ ما يجفّ سجومُها ،
همولٍ ، ترى آماقها ، الدهر ، تدمع . [3]

ارى الدهرَ يرمي ، ما تطيش سهامُه ،
وليس لمن قد غاله الدهر مرجع ؛

فان كان صخر الجود اصبح ثاوياً ، فقد كان في الدنيا يضرّ وينفع !

ولها في هذا المعنى نفسه

٢١٥ يا عينِ ، جودي بدمعٍ منك مُهراقِ ،
اذا هدا الناسُ ، او همّوا بإطراقِ . [4]

اني تذكّرني صخرًا ، اذا سجعت
على الغصون ، هتوفٌ ذاتُ اطواقِ ، [5]

---

١) الايك : الشجر الملتف . وفي رواية : الأين ' وشرحت : شجر بالحجاز واحدته أينَة . وأورد ذلك لسان العرب (١٦ : ١٨٩) مستشهدًا بهذا البيت .

٢) بدمعٍ حزينةٍ : في رواية : بعينٍ غزيرةٍ .

٣) ما يجفّ سجومها : لا تنقطع عبرتها . همولٌ : متواصلة الدمع .

٤) هدا : مخفّف هدأ : سكن . الإطراق : التغميض ' اول النوم .

٥) ذات أطواق : الحمامة المطوّقة .

وكلُّ عَبرى تبيت الليلَ مُعوِلةً

تبكي لكل جريح القلب، مشتاقِ.[1]

لا تبعدنَّ فان الموت مخترمٌ كلّ البريّةِ غير الواحد الباقي.

انت الفتى الماجد، الحامي حقيقتَه،

تُعطي الجزيلَ، بوجهٍ منك مشراق،

٢٢٠ والعَودَ تُعطي معاً، والناب، مكتنفاً،

وكلّ طِرفٍ الى الغاياتِ سبّاق.[2]

اني سأبكي ابا حسّانَ، نادبةً،

ما زلتُ، في كل إمساء وإشراق.[3]

---

١) العَبرى : الباكية الحزينة. وكل عبرى : معطوف على « هتوف ». وفي رواية... : « ساهرةً تبكي بكاء حزين القلب... ».

٢) العَود : المسنّ من الجمال. الناب : الناقة المسنّة. الطِرف : الفرس الكريم. — وقد ورد الشطر الاول في احدى الروايات : « والعَود تُعطي اذا ما يأبَ ممتنعٌ ».

٣) ابو حسّان : كنية صخر. وورد الشطر الثاني في احدى الروايات : « ...معولةً في كل ساعةِ إمساءٍ وإشراقِ. »



القسم الثالث

شتى

وصف ابيها واخيها في السباق

تسابق ابوها عمرو واخوها صخر ، فقالت تصفها ، وقد ارادت مساواة الاخ بالاب ، مع مراعاة حق الوالد . وهذا النوع يُعرف ، عند البديعيين ، بالمختلف والمؤتلف . وردت هذه الابيات في عدة كتب من مجاميع الادب ، على انها لم ترد في جميع روايات الديوان ، فقيل لابي عُبيدة : « ليس هذا مجموعاً في شعر الخنساء » فقال : « العامّة اسقط من ان يُجاد عليها بمثل هذا ! » :

جارى اباه ، فاقبلا ، وهما   يتعاوران مُلاءَة الفخرِ ؛ [1]
حتى اذا نزت القلوبُ ، وقد   لزّت هناك العُذرَ بالعُذرِ ، [2]
وعلا هُتاف الناس : « أيّهما ؟ »   قال المجيب هناك : «لاادري !» [3] ،

---

١) الملاءة : الرَيطة . يتعاوران : يأخذها احدهما مرة والآخر مرة : المعنى : ان الغُبار يصير كمُلاءَة يرتديها الاب تارةً والابن طوراً . وهي من ابلغ الاستعارات ، وقد اخذ هذا المعنى عدي بن الرقاع ، فقال :

يتعاوران من الغبار مُلاءةً   بيضاء محكمةً هما نسجاها

وتردّد بعده في الشعر العربي . الفخر : الفخر بالسبق ، وفي رواية : الحُضر : الركض ، العدو .

٢) نزت القلوب : طمحت وتاقت الى معرفة السابق . لزّت : الصقت ؛ ولزّت العذر بالعذر : اي الزمت العذر تارةً الاب ، وتارة الابن ، على حسب سبق كل منهما او تأخّره .

٣) وعلا هُتاف الناس : في رواية : وعلا صياح القوم . والمعنى : ان الناظرين كانوا يرفعون اصواتهم طالبين معرفة السابق ، فيقال لهم : « لا ندري » لتساوي المتسابقَين .

٢٢٥ برزت صحيفة وجه والده ، ومضى على غُلَوائه يجري . [1]

أولى ، فاولى ان يساوِيَه ، لولا جلالُ السنِّ والكبرِ ؛ [2]

وهما كأنهما ، وقد برزا ، صقران قد حطّا على وكرِ .

رثاء زوجها مرداس

توفي زوجها مرداس بن ابي عامر السُلَمي على اثر مرض أُصيب به في القريّة من ارض شَوَان . وكان قد اراد تجفيف مستنقعاتها فأصابته حمّى اودت به . فألّف العرب من ذلك رواية غريبة جعلوا فيها الارض مسكونة، والجن ثائرة من مرداس لانه حرق غيضتها ، واراد تحويل مجرى مياهها . . . (اطلب شرح الديوان ، طبعة الاب شيخو ، ص ١٩٦) . فقالت الخنساء ترثيه :

ولما رأيت البدر اظلم كاسفاً ، ارنّ شوانٌ : بُرْقُه ، فسايلُه ، [3]

رنيناً ؛ وما يُغني الرنين ، وقد اتى

بنعشك من فوق القُرّيّة حاملُه ؟ [4]

---

١) عند ذلك برز وجه الوالد ، ويروى : برقت صحيفة . الغُلواء : النشاط والسرعة .

٢) معنى البيت : ان صخراً كان وليّاً بمساواة ابيه في ذلك الفضل ، اي جديراً بمجاراة ابيه ، الا انه امتنع لما لابيه عليه من فضل السنّ وتمام الكهولة .

٣) ارنّ : بكى . شَوان : هو الموضع الذي أُصيب زوجها في ناحيته . بُرْق : ج . بُرقة : ارض فيها حجارة ورمل .

٤) وقد اتى . . . : اشارة الى ان زوجها أُصيب بالقُرّيّة ثم حُمل منها . وفي رواية : « وقد اتى بموتك من نحو القُرَيَّة حاملُه . »

٢٣٠ لقد خار مرداساً على الناس قاتلُه ،
ولو عـاده كنّاتُـه وحـلائلُه ، [1]

وقُلن : « ألا هل من شفاءٍ يناله ؟ »
وقـد منع الشفاءَ من هو قاتلُه !

وفضّل مرداساً على النـاس حلمُهُ ،
وأنّ كلّ همٍّ همّه فهو فـاعلُه ، [2]

وأنّ كلّ وادٍ يكره القـومُ هبطَه
هبطتَ ، وماءِ منهلٍ انت ناهلُه ، [3]

تركتَ به ليلًا طويلًا ، ومـنزلاً
تعادى على جنب الطريق عواسلُه . [4]

---

١) خار : تخيّر . — تقول ان الموت اختار مرداساً دون غيره من الناس . ولم ينجع في شفائه ما بذله كنّأته وزوجاته من العناية في غريضه . وبعض الروايات تورد هذا البيت مطلعاً للقصيدة .

٢) حلمُه : فاعل فضّل . وقد عُطفت عليه جملة : « وأن كل همّ . . . » المعنى : ان فضل مرداس على النـاس كان بحلمه وبمضاء عزيمته في مباشرة الامور الشريفـة التي يهمّ بفعلها . ثم بجرأته على هبوط الاودية التي يخشى القـوم السير فيها (كما ورد في البيت التالي) .

٣) وأن كل وادٍ . . . : الجملة معطوفة على الجملة السابقة .

٤) به : الضمير للمنهل . العواسل : الذئاب . المعنى : نزلت بهـذا المنهل اول الليل ، فسريت ، ثم ارتحلت عنه وقد بقي عليك ليلٌ طويل ، وتركت فيه منزلًا تتعاوى ذئابه .

٢٣٥ وسبيٍ كآرام الصريم حويتُه ،
خلال رجالٍ ، مستكينٍ عواطلُه ؛ [1]
فعدتُ عليه ، بعد بؤسى ، بأنعُمٍ ؛
وكلهمُ تُعنى بـه وتواصلُه . [2]
متى مـا توازن ماجداً تعتدلْ بـه ،
كما عدل الميزان بالكفِّ ثاقلُه ! [3]

تشكي وفخر

قالت تشكو دهرها وتفتخر بقومها ، وهو مما يستحسنه الادباء :

تعرَّقني الدهرُ نهساً وحزّاً ، واوجعني الدهر قرعاً وغمزا ، [4]
وافنى رجالي ، فبادوا معاً ؛ فغودر قلبي بهم مستفَزّا . [5]
٢٤٠ كأن لم يكونوا حِمىً يُتّقى ،
اذ الناس ، اذ ذاك ، من عزَّ بزّا . [6]

---

١) السبي : النساء المأخوذة في الحرب . الآرام : ج . رئم : الظبي الابيض . الصريم : القطعة من الرمل . العواطل : الخاليات من الحلي . المعنى : سرت في اثر العدو . فخلّصت منـه نساء يشبهن ظباء الرمـال ببياضهنّ ، بعد ان فقدن حليهنّ وتذلّلن ، فجعلتهنّ « خلال رجال » اي بين فرسانك ليدافعوا عنهنّ .

٢) عليـه : الضمير للسبي . اي بعد ان تذلّلت هؤلاء النسوة عدت عليهنّ بالانعم واهتممن بشأنهنّ .

٣) الثاقل : الوازن – اذا جاريت رجلًا شريفًا عادلته في شرفه .

٤) تعرَّقني : من تعرَّق اللحم عن العظم اذا اخـذه كله . النهس : العض والاجتذاب . الحزّ : القطع . القرع : الضرب على الرأس . الغمز . الضغط باليد .

٥) مستفَزّ : مستطار من الخوف .

٦) من عزَّ بزّ : مثل معناه من غلب سلب . والجملة خبر الناس .

وكانوا سَراة بـني مـالكٍ وزينَ العشـيرة مجـداً وعِزّا ؛

وهم في القديم أُساة العـدي

مِ، والكائنون، من الخوف، حِرزا؛[1]

وهـم منعوا جـارَهم ، والنسا

ءُ يحفز احشاءَها الخوفُ حفزا ، [2]

غـداة لقوهـم بملمومةٍ

طحونٍ تُغادر في الارض رِكزا ، [3]

٢٤٥ ببيض الصفاح ، وسُمر الرماح ،

فبالبيض ضرباً ، وبالسُمر وخزا ،

وخيـلٍ تكدَّسُ بالدارعين ، وتحت العجاجة يجمزنَ جَمزا . [4]

جززنا نواصي فرسانها ، وكانوا يظنّون ان لا تُجزّا . [5]

ومن ظنَّ ممـن يـلاقي الحروب

بان لا يُصاب ، فقد ظنَّ عجزا .

نعفّ ، ونعرف حقّ القِرى ، ونتخذ الحمد ذُخراً وكنزا ،

---

١) العديم : الفقير .

٢) يحفز احشاءها : يدنيها من الموت . واصله من حفزت الدابة بالحزام : شدّ على صدرها . وجملة « والنساء . . . : » حالية .

٣) الملمومة : الكتيبة المجتمعة . طحون : فعول من طحن : اي لا يقاومها شيء . الرِكز : الصوت .

٤) راجع البيت ١٦ ، ص : ٣٠ .

٥) كان من مفاخر ابطال العرب انهم اذا اخذوا اسيراً جزّوا ناصيته والقوها في كناناتهم .

٢٥٠ ونلبس في الحرب نسج الحديد ،

ونسحب في السِلم خزًّا وقزّا . [1]

ولها في المعنى نفسه

جاء في خزانة الادب (١ : ٣٠٩) : قيل لجرير : « من اشعر النـاس ؟ » قال : « انا ، لولا الخنساء . » قيل : « فبِمَ فضلتك ؟ »قال : « بقولها :

ان الزمان ، وما يفنى له عجبٌ ،

ابقى لنا ذنباً ، واستؤصل الراسُ ؛ [2]

ابقى لنـا كل مجهولٍ ، وفجّعنا

بالحالمين ، فهم هامٌ وارماسُ . [3]

ان الجديدَين ، في طول اختلافهما ،

لا يفسُدان ؛ ولكن يفسد الناسُ ! [4]

مفاخرتها لهند بنت عُتبة

كانت الخنساء ، في حزنها وحـدادها ، تحضر الموسم في عكاظ ؛ فتسوّم هودجها براية ، وتعاظم العرب بمصيبتها بابيها واخويها . وكانت العرب تعرف لها ذلك ؛ حتى كانت وقعة بدر ، وقُتل فيها من مشركي قريش عُتبة وشيبة ، ابنـا ربيعة ، والوليد بن عُتبة . فاقبلت هند بنت عُتبة ترثيهم . وبلغها مـا كانت تفعل

---

١) نسج الحديد : الدروع . القزّ : الحرير .

٢) ومـا يفنى له عجَب : في رواية : وما تفنى عجائبه . الذنَب : اي من لا خير فيه من الناس . الراس : ارادت به اخاها .

٣) الهام : جـ. هامة : الرأس ، الطائر الذي يخرج من الرأس الميت (راجع ص : ٢٤ ، شرح البيت ١٧٤) . الارماس : جـ. رمس : القبر .

٤) الجديدان : الليل والنهار .

الخنساء ، فسارت بهودجها فسُوِّم براية ، وبجملها فقُرن بجمل الخنساء . فقالت هذه : « من انت يا أُخيَّة ؟ » فقالت : « انا هند بنت عُتبة ، وانا اعظم العرب مصيبة . وقد بلغني انك تعاظمين العرب بمصيبتك . ففيمَ تعاظمينهم ؟ » قالت الخنساء : « في ابي عمرو بن الشريد ، واخويَّ معاوية وصخر . ففيمَ تعاظمين انت ؟ » قالت : « في ابي عُتبة بن ربيعة ، وعمي شيبة بن ربيعة ، واخي الوليد ابن عُتبة . » قالت الخنساء : « أَوَ سَواءٌ هم عندك ؟ » قالت : « نعم ! » ثم انشدت :

أُبكّي عميد الابطحين كليهما ومانعَها من كل باغٍ يريدُها (١)

ابي عُتبة الخيراتِ ، ويحك ، فاعلمي ؛

وشيبةُ ، والحامي الذمار وليدُها .

اولئك اهل المجد من آلِ غالبٍ ، وفي العزّ منها، حين يُنمى عديدُها .

فقالت الخنساء تجيبها :

أُبكّي ابي عمرًا بعينٍ غزيرةٍ

قليلٌ ، اذا نام الخليُّ ، هجودُها ، (٢)

٢٥٥ وصنويَّ : لا انسى معاوية الذي

له من سَراة الحرّتين وفودُها ؛ (٣)

---

١) الابطحان : الابطح في الاصل : المسيل ، ارادت بهما بطحاء مكة وسهل تهامة .

٢) الخليّ : في رواية : العيون . الهجود : النوم .

٣) الصنوان : الاخوان الشقيقان . الحرّتان : الحرّة في الاصل : الارض ذات الحجارة السوداء البركانية . ارادت بها حرّة بني سُليم وحرّة بني هلال ، وهما في الحجاز .

وصخرًا ، ومن ذا مثل صخرٍ اذا غدا
بساهمة الآطـالِ قُبٍّ يقودُها ؟ [1]
فذلك ، يا هند ، الرزّية ؛ فاعلمي ؛
ونيرانُ حربٍ حين شُبَّ وقودُها . [2]

ثم قالت في الموسم نفسه

من حسَّ لي الاخوَيـ ـنِ كالغصنين،او من راهما ؟[3]
اخوين كالصقرين ، لم يرَ ناظرٌ شَروَاهما ؛[4]
٢٦٠ قرمين لا يتظالمـا ن ، ولا يُرام حِماهما .
أبكي على اخويَّ م والقبرِ الذي وارهما :
لا مثلَ كهلي في الكهو لِ ، ولا فتى كفتاهما ؛[5]
رمحين خطّيين ، في كبد السماء سناهُما ؛
ما خلّفا ، اذ ودّعا ، في سؤددٍ شَرواهما ؛[6]
٢٦٥ سادا بغير تكلّفٍ عفوًا بفيض نداهما .

---

١) الساهمة : الضامرة . الاطال : ج . إطل : الخاصرة . القبّ : ج . اقب : الضامر البطن .
٢) شُبّ وقودها : اي استعرت نار الحرب .
٣) حَسَّ : ادرك . او تكون من حسّ له : رقّ ، اشفق عليه . راهما : مخفّف رآهما .
٤) الشَروى : المثل .
٥) تريد بالكهل صخرًا لانه الكبير ؛ وبالفتى معاوية .
٦) اي لم يتركا مثلهما في المجد والسيادة.

الروائع

سلسلة ابحاث في الادب ، ومنتخبات من اشهر اعلامه

السلسلة الثالثة

ظهر حتى الآن

٢١ – الشيخ ناصيف اليازجي : منتخبات شعرية

٢٢ – المعلم بطرس البستاني : خطابان : تعليم النساء – آداب العرب

٢٣ – ولي الدين يكن : فصول منتخبة

٢٤ – طرفة ولبيد : المعلقتان

٢٥ – زهير بن ابي سلمى : منتخبات شعرية

٢٦ – عمرو بن كلثوم ، والحرث بن حلزة : المعلقتان

٢٧ – عنترة : منتخبات شعرية

٢٨ – الخنساء : منتخبات شعرية

٢٩ – الحطيئة : منتخبات شعرية

يظهر قريباً

٣٠ – النابغة : منتخبات شعرية

